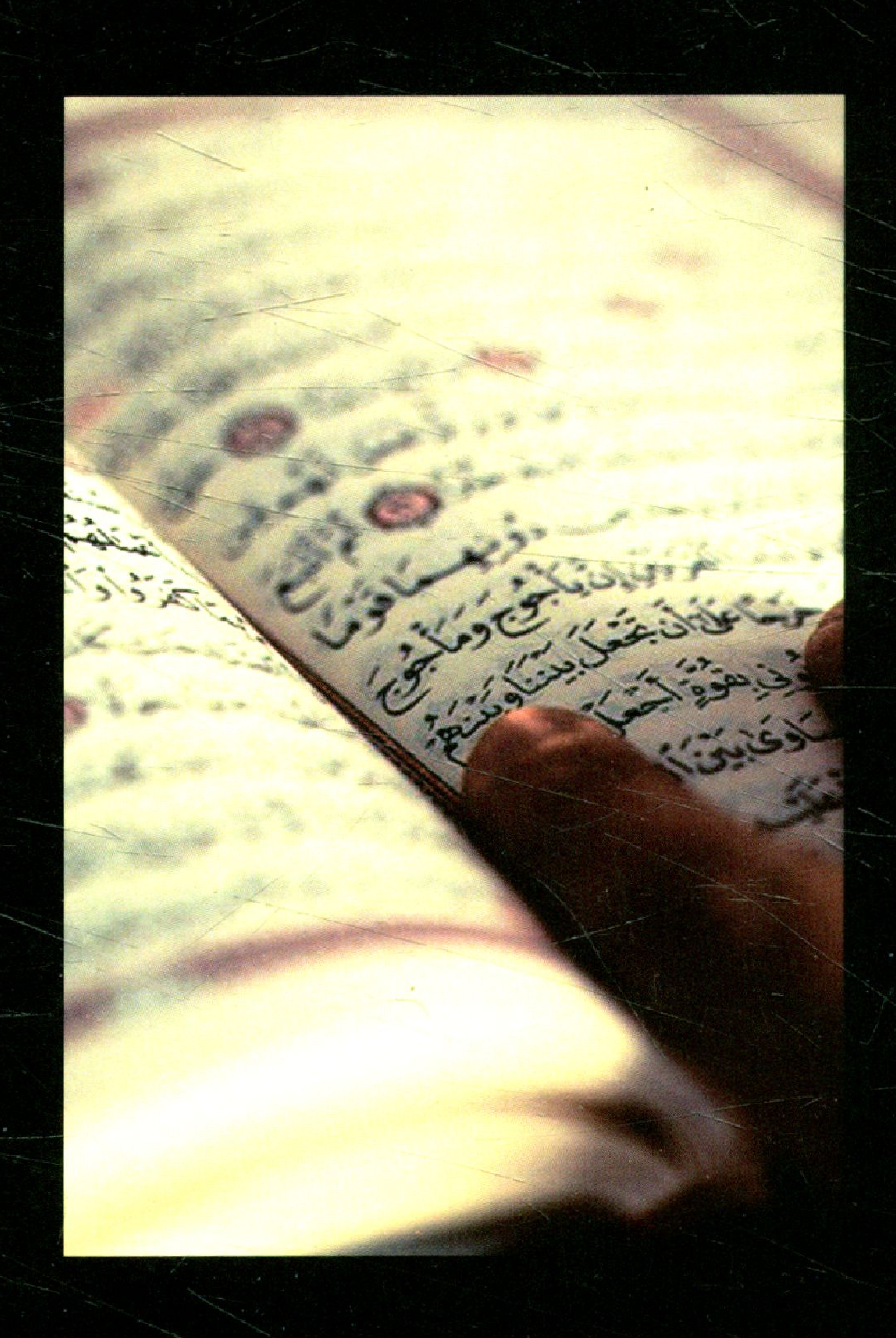
د. حسن سالم هندي

# بنية الشخصية المؤمنة

## في القصة القرآنية والرواية الإنسانية





# بنية الشخصية المؤمنة

## في القصة القرآنية والرواية الإنسانية

اسم الكتاب: بنية الشخصية المؤمنة
في القصة القرآنية والرواية الإنسانية
المؤلف: د. حسن سالم هندي
عدد الصفحات: 84
القياس: 14.5 ◆ 21.5
2012/1000م - 1433هـ

---



دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963 +
هاتف: 2326985 11 963 +
E-mail: ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org

---

العمليات الفنية:
التنضيد والإخراج والطباعة وتصميم الغلاف
القسم الفني - دار نينوى

---

الدكتور حسن سالم هندي

# بنية الشخصية المؤمنة

## في القصة القرآنية والرواية الإنسانية

## المؤلف في سطور

- د. حسن سالم هندي
- من مواليد الأنبار - العراق - ١٩٧٣.
- حاصل على الدكتوراه في النقد الحديث من كلية الآداب - الجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٣.
- نشر أكثر من ١٢ بحثاً في مجالات مختلفة.
- حاليا يزاول التدريس الجامعي في كلية التربية للبنات - جامعة الأنبار منذ ٢٠٠٥.

# الفصل الأول

# الشخصية المؤمنة
# في القصة القرآنية

# بنية الشخصية القرآنية

تنطوي القصة القرآنية على أنماط القص كلها، من إشارة للزمان وتحديد للمكان ورسم للشخصيات، وذكر للحوار ووضوح للأدوار والأفكار، وهندسة فائقة للحبكة والإحداث، يؤدى ذلك كله بأبلغ لفظ وأجمله، وأجود معنى وأوضحه، لا لأجل المتعة الفنية الخالصة فقط، وإنما للعبرة والموعظة أولا، ولتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا، فضلا عما فيها من فوائد عظيمة.

والقارئ مهما رزق من ذائقة فنية وموهبة خلابة لا يستطيع – وان أجهد نفسه – أن يلم بإشرافات القصة القرآنية كلها، وإذا ما أراد المحاولة فخير له أن يلتمس ذلك عبر دارسة عنصر قصصي محدد وفي ضمن علاقته بالعناصر القصصية الأخرى وليتخير أكثر هذه العناصر فعالية وحضورا وارتباطا بالمكونات الفنية للقصة؛ ليتسنى له في النهاية وضع الإصبع على بعض الجوانب الجمالية في القصة القرآنية. وإذا استعملنا هذا المنهج الانتقائي بشروطه التي ذكرنا فإننا نتصور أن الشخصية بوصفها عنصراً قصصياً هي خير من يفي بالمستلزمات التي تم تحديدها، إذ ترتبط الشخصية ارتباطاً وثيقاً بالمكونات القصصية الأخرى، فهي لا تعيش منعزلة عن باقي عناصر القص، وإنما تدخل في علاقات متعددة مع

مكوناته، مثل الزمان والمكان والأحداث. وعدم النظر إليها ضمن هذه العلاقات والصلات التي تقيمها مع عناصر القص يجعل من العسير فهم الدور الوظيفي والبنائي الذي تنهض به الشخصية داخل القصة[١]. فهي تمثل حلقة الوصل الأساسية بين عناصرها كافة، ويتحدد وجودها عادة بما يحيط بها، فبالقدر الذي يؤثر بها هذا المحيط تؤثر به وتحدد ملامحه، ولاسيما إذا كانت هذه الشخصية ذي فعالية في بناء القصة وتطور أحداثها أو ما يسمى بالشخصية النامية، والتي تتفاعل مع الحوادث فتزيدها وضوحا، وتمنحها قوة وطرافة وثراء. وليست هناك قصة بلا شخصية حتى ولو كانت من القصص الرمزية أو كانت من حكايات الحيوانات والجمادات[٢] «فالأشخاص في القصة هم مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ أن انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه»[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن توزيع العناصر في القصة القرآنية يتطور بتطور الدعوة الإسلامية «من هنا كنا نرى عنصر الحدث هو العنصر البارز في الأقاصيص التي يقصد منها التخويف والإنذار، وعنصر الأشخاص هو العنصر البارز في الأقاصيص التي يقصد منها الإفاضة والإيحاء، أو إلى تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وعنصر الحوار في الأقاصيص التي يقصد منها الدفاع عن الدعوة الإسلامية والرد على المعارضة وهكذا...»[٤]. وتبعاً لحضور الشخصيات في القصة تباينت الأدوار التي تحتلها الشخصيات فبعضها «يمثل أدواراً مهمة في القصة والبعض الآخر يمثل الأدوار الثانوية، وعلاوة على ذلك توجد في بعض القصص شخصيات تعد من ناحية الأهمية في الدرجة الثالثة»[٥] والقصة القرآنية تحتفي بهذه الشخصيات جميعاً مع تباين في المساحة النصية التي تشغلها في القص بيد أن الملاحظ في الغالب «إن القران لم يقم وزنا لصفاتها ومميزاتها الحسية،

فلا طول ولا عرض ولا لون بشرة ولا ملامح ولا قسمات»[6]، كما يفعل بعض المولعين بالقص فيذكرون لون الشعر والعينين، ووصف الفم والأنف والجبين، وتشبيه نبرات الصوت والمشية وتفسير نظرات الفرح والحزن والغضب، وابتسامات البراءة والمكر والسخرية ونحو ذلك من الأوصاف الفيزيولوجية. على أن في القران العظيم إشارات إلى بعض الصفات البسيطة التركيب العميقة الدلالة والإيحاء هي التي «تحرك بطبيعة الحال الأحداث وتضطرب بها، أو تقوم الأحداث نفسها بتحريك الشخصيات»[7] والى جانب الصفات الحسية للشخصيات فإن القران الكريم يهتم بالجانب النفسي أو الذهني للشخصية ويعطيه أهمية قصوى قد تفوق الجانب الحسي فابرز ما يلاحظ في التصوير القرآني للشخصية الفعالة أو المؤمنة بصفة عامة: أمانة النقل في حكاية أقوالها ودقة التعبير عن مشاعرها، وصدق الترجمة الباطنية عن خواطرها، واتصافها بالفعالية والحيوية والتركيز على الأبعاد الإيجابية وهذا ما أهملته الرواية الأدبية والقصة البشرية من خلال عرضها للشخصية المؤمنة الملتزمة بأسلوب استنكاري يبين انعزالها عن المجتمع، كما إنها فسرت سلوكها الديني والتزامها الشرعي بتفسيرات عدة منه ما هو نفعي وصولي نفاقي أو بوصفه تطرفاً فكرياً أو دروشة فارغة باردة، ومن ثم لم تحظ الشخصية - كفاية - من الاهتمام على مستوى الحضور السردي أو البناء الفني.

كما سنبينه في المحور الثاني من هذه الدراسة أن شاء الله[8].

# محاور رسم الشخصية

يمكن ضبط الدور الوظيفي والفني الذي تنهض به الشخصية الفعالة داخل القصة القرآنية على وفق بعدين أساسيين ومحورين رئيسين:

**الأول: الفعالية الحسية للشخصية (المادية).**

**الثاني: الفعالية المعنوية للشخصية (النفسية).**

ونعني بالفعالية الحسية: كل نشاط تقوم به الشخصية من جهة تأثير الجانب المادي فيها، والذي يكون غالبا سببا في تحريك الأحداث في القصة القرآنية أو توجيه الحبكة أو المنظور وغيرهم من عناصر القص. وإذا أعوزتنا الأمثلة عن الجانب المادي فنضرب مثلاً بقوة موسى عليه السلام ودورها في إدارة الأحداث، وحسن يوسف عليه السلام وأثره في توجيه دفة الصراع..... الخ.

أما الفعالية المعنوية للشخصية: فنعني بها كل نشاط تقوم به الشخصية من جهة تأثير الجانب المعنوي أو النفسي فيها أو الفكري، والذي يؤدي أحيانا دورا فعالا في رسم الأحداث وتوجيهها . ومن أمثلة هذا النمط الصبر والتوكل في شخصية إبراهيم عليه السلام، والحكمة

التي اتسمت بها شخصية بلقيس والعفو وبعد النظر عند النبي صلى الله عليه وسلم. والقرآن الكريم لا يبرز هذه العناصر لذاتها وإنما للتأسي بالشخصية الخيرة والتنفير عن سواها. وهنا نمط سائد في تقديم الشخصية في القصص القرآني.

يمكننا التركيز على هذين البعدين للكشف عن فعالية الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية، وسنتناول بعض الشخصيات بوصفها نماذج لها نظائر كثيرة في القص القرآني بأكمله ونركز على طرائق رسم الشخصية وسبل تقديمها أيضاً.

# بنية الشخصية المؤمنة بنية فعالة

الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية شخصية فعالة مطلقا، وتتضح فعاليتها عبر الأحداث التي تخوض غمارها، وعلاقتها بالشخصيات داخل القصة، أومن خلال المواقف التي تمر بها وطريقة تعبيرها وحواراتها، وثباتها على المواقف الايجابية وصدق عواطفها الإنسانية، ومراعاتها لعنصري الزمان والمكان، ومن ثم هي تستمد حيويتها من خلال علاقتها بهذه المكونات جميعا فلا توجد أوصاف مادية أو حسية للشخصية المؤمنة تعمل في استقلال عن هذه المكونات فهي دائما في خدمة البناء العام للقصة، ولا توجد أوصاف تزيينية أوايهامية كما في القصص الإنساني مثلا. وقد اعتنى القرآن الكريم ببيان هذه الصفات عن طريق عنايته بأسلوب تقديم الشخصية المؤمنة، ورسمها على وفق المستويين الحسي والمعنوي وبأسلوب تعبيري معجز جعل من صفات الشخصية صفات معبرة، وهناك أمثلة من القصة القرآنية تشهد بأن الشخصية القرآنية تمثل بنية فعالة من خلال تفاعلاها مع الأحداث تارة، ومع الشخصيات والزمان والمكان والحوار وسائر مكونات القص تارة أخرى، كما في قصة موسى عليه السلام -مثلا-أكثر القصص ورودا في القران الكريم- اذ تتجلى فيها

ظاهرة فنية إلا وهي محورية الشخصية – شخصية موسى – وهيمنتها على عناصر القص الأخرى، ويمكن رصد فاعلية شخصيته بالمضي قدما مع مراحل حياته كما وردت في القران الكريم: فموس عليه السلام الطفل أولا وحادثة قذفه في اليم، ومن ثم رجوعه إلى أمه كي تقر عينها. وموسى الصبي وكيف نشأ في بيت فرعون وكنفه ليكون له بعد ذلك عدوا وحزنا. ومن ثم موسى عليه السلام الشاب القوي وحادثة وكزه لرجل من الأقباط بعد أن استنصره الذي من شيعته. وعلى المنوال نفسه نتابع موسى القوي الأمين وقضية استسقائه للفتاتين. وأخيرا موسى النبي المرسل وكل ما يتعلق بهذه المرحلة بدءً من خروجه من مدين وصولا إلى اتخاذ بني إسرائيل العجل آلهة من دون الله وما تبعها من أحداث.

نتابع هذه الأحداث بالتناغم مع المواقف التي تمر بها شخصية موسى عليه السلام بأروع بيان، وبأجمل أسلوب وبإنسجام قصصي عالٍ. فهذه المراحل التي تمر بها الشخصية في حياتها لا توصف اعتباطا أو حشوا، فلكل موقف أثر ولكل وصف بعد، ولكل مرحلة أحداثها، ولكل إطلالة للشخصية في القصة مدى يترك تأثيره على جانب من جوانب الشخصية بالكشف والتحليل أو كليهما معنا. فوكز موسى لرجل من الأقباط كان سببا لهربه من آل فرعون واتخاذه مدين ملاذا آمناً فيه رعى الغنم ورزق بزوجه، وبعد أن أمضى عشر حجج اشتاقت نفسه وعظم الحنين في داخله إلى وطنه وفي طريق عودته انس نارا أو هو حسبها نارا فوجدها نورا، نور الرسالة والهداية والتبليغ لأكبر طواغيت الأرض فرعون وملئه.

وليس في وسعنا أن نستغرق في ذكر المراحل التي مرت بها

الشخصية كلها ولكن يمكننا أن نكشف عن فعالية الشخصية عبر تناول الصفات المادية والمعنوية لموسى عليه السلام، ولاسيما تلك التي انطوت على دلالات أثرت على عناصر القص فحركت الأحداث تارة، وأظهرت المكان والزمان وأكسبتهما طابعا معينا تارة أخرى. أما عن الصفات المادية فقد وصف موسى عليه السلام (قوي أمين) فما علاقة هذه الصفة (القوة) بما يجري من أحداث؟.... لأنه قوي استطاع بضربة واحدة قتل الرجل فكان الثمن أن يفر خائفا وجلا من فرعون. ولأنه قوي ثانية تمكن من حمل الصخرة التي تغطي البئر... ولأنه قوي مرة أخرى تمكن من أن يقطع الطريق مشيا إلى مدين. ثم بعد ذلك فهو أمين

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)(٩)

أمين بتعامله... أمين بغيرته... أمين بصدقه وشجاعته فحاز إعجاب الرجل ومن قبل بناته فصار زوجا لإحداهما، واستبدل الله تعالى خوفه بالأمن وأكرمه بالرسالة. وكذلك يجزي الله رسله وعباده المخلصين، فمن الصفات المعنوية ما تترك أثرا عميقا في الأحداث وفي سائر مكونات القص، فهذه بلقيس الملكة الحاكمة غيرت بذكائها وحكمتها مسار قوم - بأذن الله تعالى - من الكفر إلى الإيمان وأذعنت لنداء الحق لدعوة سليمان عليه السلام، بعدما أدركت بحكمتها أيضاً

(قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)(١٠)

ومن فرط حكمتها لم تنفرد بقرارها هذا على الرغم من أنها منشرحة الصدر له، وإنما استشارت قومها

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)(١١)

فللحكمة شروط ومستلزمات تصير فيها النفوس قناديل تضيء معالم الطريق وتهدي إليه، فبرحمة الله ومنته على عباده صار قرارها فيصلا بين الحق والباطل بين الجنة والنار بين أن تكون أو لا تكون.

تبرز فعالية الشخصية في القصة القرآنية أحيانا عندما تتفاعل مع الأحداث سلبا وإيجابا فيترك الحدث فيها أثرا ما، فقصة أصحاب الجنة يقوم محورها على أساس ما يخلفه الحدث من اثر في سلوك أصحاب الجنة، فهي لون من ألوان الابتلاء ودرس يكشف عما يعتلج في النفوس، واختبار حقيقي للإيمان، جنة أتت أكلها، وأغدق عليها الباري عز وجل من نعمه الواسعة مما كان فتنة لأصحابها، فنسوا، أو تناسوا مصدر هذه النعمة فاغتروا بها أو هي أغرتهم، فجمعوا أمرهم، أن لا يدخلها احد ولا يزاحمهم في هذا الخير الكثير مزاحم حتى وان كان مسكينا أو عابر سبيل. - فويل للنفوس إذا ما استولى عليها الشح والطمع وغلبتها القسوة وحب الدنيا وزينتها-. فجاء أمر ربك... والدرس البليغ والعقاب السريع، وأصبحت جنتهم من فورها هشيما وكأنها لم تكن، فسبحان الله العظيم. وهم في دهشتهم وشدة ذهولهم، ذكر اخ لهم سبب ذلك كله:

(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)(١٢).

هذا الحدث الجلل والدرس القاسي، لم ولن يمر دونما تأثير، فماذا كان جوابهم بعد أن ذكرّهم أخوهم؟ وماذا يا ترى هم فاعلون؟ عادوا إلى رشدهم وصوابهم بالرغم من هول الخطب وغلاء الثمن، وذهاب الجنة

(قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)[١٣]

فالندم على المعصية من شروط التوبة، فالأمر إذن لا يخلو من اللوم والتقريع على ما فرطوا في جنب الله

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ)[١٤]

ولكن ماذا بعد الندم واللوم هل يركنوا إليهما فقط؟ بعد ما أدركوا السبب الحقيقي لما حل بهم وبجنتهم!! يبدوا أن موقفهم كان أكثر ايجابيةً، طغوا، فعوقبوا، وندموا ثم تابوا إلى رشدهم وعقدوا رجاءهم بالله تعالى بأن يعوضهم خيراً من جنتهم التي فقدوها بظلمهم لأنفسهم. فقالوا:

(عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ)[١٥].

المتتبع لأحداث هذه القصة يلمس الأثر الواضح الذي تركه الحدث في الشخصيات عبر تنوع سلوكها من موقف إلى موقف مما يشهد للشخصية أو مجموعة الشخصيات (أصحاب الجنة) بالفاعلية وهي تتناغم مع الأحداث في ضمن آلية تقوم على الشد والجذب بين طرفين متوازيين هما: الأحداث والشخصية، ففي بدء القصة يظهر أصحاب الجنة - بوصفهم نماذج بشرية غاية في الشح والاستعلاء....

وبفعل الحدث وما أصاب جنتهم من دمار استوعبت هذه الشخصية الدرس وعرفت السبب لما حل بها فبدت في هذه المرحلة - وبفعل الحدث أيضا - شخصيات يستحوذ عليها الندم ويبلغ منها الانكسار والحسرة مبلغا عظيماً. ثم تهتدي إلى أسلوب ناجع هو التوبة إلى الله تعالى، ورجاء المغفرة والصفح والتعويض بجنةٍ خيراً من جنتهم التي فقدوها[١٦].

ظهرت الشخصيات إذا وبفعل حدث واحد بثلاثة أطوار متباينة تبعاً لتطور الأحداث: شخصيات مستكبرة جاحدة لأنعم الله، وشخصيات يستحوذ عليها الندم، وشخصيات ترجو الصفح والعفو.

يحق لمن يقول بعد ذلك كله - إن الشخصية وأساليب عرضها تشكل إحدى السمات الجمالية في القصة القرآنية على نحو عام، وفي قصة أصحاب الجنة على نحو خاص، فهي استطاعت أن تستوعب الدرس، وتتناغم مع مجريات الأحداث، فأثبتت بما لا يقبل الشك أنها شخصيات فاعلة في بناء القصة فنياً.

الحلم والأناة والدقة والحزم هو ما تميزت به شخصية سليمان عليه السلام، فكانت هذه الأوصاف المعنوية لشخصيته المحرك الفعلي للأحداث وتطورها، ولتوجيه الشخصيات وتقويمها. فاتضحت سمة اليقظة والدقة في تفقده للطير:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[١٧]

فها هو ذا الملك والنبي سليمان عليه السلام في نظرة شاملة يتفقد فيها الطير فلا يجد الهدهد. نعم طير من بين ملايين الطيور،

فأي دقة ويقظة تلك التي يمتلكها سليمان... وهو يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة (ما لى لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين) ويتضح انه غائب ويعلم الجميع من سؤال سليمان انه غائب بغير إذن!! وحينئذ يتعين أن يأخذ الأمر بالحزم كي لا تكون فوضى، وهذا ما فطن إليه سليمان عليه السلام وهنا بالضبط تبرز فاعلية الشخصية بإزاء الأحداث والشخصيات والمواقف، فيتوعد الهدهد الغائب

(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ...)[18]

ولكن سليمان عليه السلام ليس ملكا جبارا في الأرض، وإنما هو نبي، ومن ثم هو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي بحقه قضاء نهائياً قبل أن يسمع حجته، ويتبين عذره، وعند ذلك تبرز سمة الحلم والأناة، سمة النبي العادل

(أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[19]

وبالفعل يأتي الهدهد بنبأ عظيم، لم يحط به سليمان عليه السلام علما.

من يتأمل هذا المشهد من سورة النمل، يدرك الملامح المعنوية الفاعلة لشخصية سليمان عليه السلام وثرائها وتنوعها بما ينسجم مع الموقف المراد تأديته في القصة. فهي يقظة في اللحظات التي تستدعي اليقظة، حازمة في الوقت الذي يكون فيه الحزم سلاحاً ماضياً نافعاً، وبالمقابل حليمة متأنية متسامحة مع طير غاب ولم يحضر ويدلي بدلوه.

المتأمل في قصة سليمان وبناء الشخصية فيها يلحظ أن القران الكريم قدم لنا شخصية فاعلة نامية تنبض بالحيوية وتفيض بالدلالات التي يمكن استنباطها من خلال تعاملها مع المواقف والأحداث والشخصيات، فبدأ يتفقد طيراً، طيراً ضمن مملكة واسعة عظيمة، ومن ثم فهو لا يتفقد أي طير بل يسأل عن طير معين «الهدهد» «وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين» نعم انه من الغائبين فما هي ردة الفعل بإزاء هذا الحدث؟ وما هو موقف سليمان عليه السلام؟. كان موقفه موقف النبي الموصول بالمنهج الرباني، موقف النبي الحازم (لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه) وعبر هذا الحدث نقف على سمة فاعلة أخرى إلا وهي الحزم، ولكنه بحكمة النبي وبذكاء المجرب أدرك أن الحزم لابد أن يقترن بصنويه الحكمة والأناة، وإلا صار ظلما وعدوانا وتعسفا لا طائل من ورائه، فهو يعلم إن الهدهد غائب وربما لغائب عذر، وبالفعل أتى الهدهد بخبر لم يصل إلى سمع سليمان عليه السلام، أمر بلقيس وقومها وما يعبدون من دون الله، فصارت شخصية سليمان بذلك كله من الشخصيات الفاعلة في القصة القرآنية واستقطبت عناصر القصة كلها، فجاءت القصة ومضامينها غاية في الإبداع، وغاية في الإعجاز - وكيف لا وهي منسوجة من كلام طالما تحدى الله تبارك وتعالى العرب أن يأتوا بمثله وهم أفصح الناس لساناً ينطق العربية.

ونمضي قدماً في استعراض شخصية أخرى من الشخصيات القرآنية، هي شخصية يوسف عليه السلام وتحديداً الجانب المادي فيها إذ أوتي شطر الحسن الذي يمثل نقطة الصراع في القصة، والينبوع الثاني الذي تتدفق منه الأحداث بعد حدث الابتلاء الذي مر

به يوسف عليه السلام عندما أُلقي في الجب ليواجه ابتلاء آخر يوم أن راودته امرأة العزيز عن نفسه؛ ولأن يوسف عليه السلام أبى الامتثال لإغرائها كادت له فسجن وكان ما كان من أمر خروجه وبراءته لينتهي به المطاف ملكا على خزائن مصر وما تبعه من أحداث تتعلق بلقائه بأخوته وأبيه..... (٢٠). ومن الملاحظ أن القرآن الكريم لم يعن بإظهار الجانب الحسي لامرأة العزيز كما هو الحال في وصف المرأة في القصة الإنسانية بل يظهرها القرآن الكريم بوصفها امرأة لها مشاعرها وعواطفها الخاصة وذاتيتها المستقلة فلا يضفي عليها ألوانا زاهية جذابة ولا يسلط عليها أضواءً أكثر مما يقتضيه المشهد، أما القول «بأن الصراع في مثل هذا الموقف إنما يتمثل في وصف جمال المرأة ومفاتنها هو ضرب من الوهم، بل إن ذلك طريق لا شعوري لإشباع اللذائذ الجنسية، يفسره إقبال الجمهور على الروايات والقصص الغرامية بحثاً عن التسلية وصرفاً للفكر عن مشكلاته الأساسية، ولكنها تسلية غير بناءة تستنزف الجهد والوقت، وتنتهي إلى إفلاس وجداني ومرض خُلُقي، وقلق نفسي، أعراضه إدمان في طلب التسلية، وقلة حماس عند القيام بالأعمال الجدية، وخيال يعزله عن الواقعية»[٢١]. فالقرآن لم يصف لنا الفتنة التي تحدث عنها المؤرخون والقصاص حتى لا يفتن الناس، ولكنه صور لنا الصراع وشخصية يوسف عليه السلام بمثل قوله تعالى:

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ

مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)[٢٢]

أو بمثل قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[٢٣]

ألا يعبر كل هذا عن صراع عنيف بين داعية الفتنة وصوت الحق؟ ثم إن ما يصوره بعض القصاصين من جموح العواطف ومغامرات الغرام يعده القرآن ضعفاً وانحلالاً، فهو لا يحفل بتصوير لحظات الضعف، ولا يتوسع في عرضها بحجة انه يرينا الواقع، لأن ما ينطبع في الذهن من مشاهد وأوصاف هو الذي يبقى فتحصل الفتنة والإغراء، وتضيع معاني العبرة ومغزى القصة في ثنايا المشاهد الفاتنة وعرض الواقع المغري. ثم أي وصف لشخصية يوسف ابلغ من وصف القرآن الكريم له ضمنيا فيما حكاه عن النسوة اللائي دعتهن

أمرأة العزيز إلى بيتها واتت كل واحدة منهن سكينا وفاكهة وقالت ليوسف:

(...... اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢))[٢٤]

يظهر أن البناء القصصي الذي يعتمد على شخصيه محورية رئيسة – كما هو الشأن في قصة يوسف عليه السلام- يجعل بؤرة الضوء – بمفهوم النقد القصصي الحديث – مركزة على الشخصية المحورية، في حين تبدو الشخصيات الأخرى داخل القصة نفسها مترشحة من منظور الشخصية المركزية، ومن ثم تمثل الشخصيات الثانوية مساحات نصية ضيقة نسبياً من جهة حضورها على مستوى السرد القصصي[٢٥]. فامرأة العزيز وصاحبا السجن وأخوة يوسف عليه السلام وسائر الشخصيات الأخرى لا تظهر على مستوى القص إلا من خلال شخصية يوسف، فمشاعر الحب والشغف في نفس امرأة العزيز يثيرها جماله. ومشاعر الحزن والأسى في نفس يعقوب عليه السلام تحفزها لوعة الفراق وغريزة الأبوة. وبالمقابل إحساس الغيرة والحسد عند أخوة يوسف تثيرها مكانته من أبيه وحبه إياه..... الخ.

ونقف هنا عند قرية مثل كثير من القرى السالفة، والتي ذكرها القران الكريم، وصورة متكررة للجحود والطغيان والاستكبار. ولكنها

سنة الله تعالى في خلقه إلا أن يبعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين كي لا يكون على الله حجة من بعد الرسل وكان يكفيهم - لو كانوا أصحاب فطرة سليمة- أن يبعث فيهم رسولا واحدا أو رسولين، ولكنهم ثلاثة رسل بعثوا في قرية واحدة، فلا عذر لمعتذر ولا حجة لمجادل بعدما تبين الحق وتواتر على صحته وصدقه الرسل.

فما موقف أصحاب القرية بعد هذا التواتر للرسل والذي لم تسبقهم إليه قرية؟ أهو الإيمان مع وجود الدليل أم الصد والكفر بلا دليل أو بديل؟. أيتبعون الفطرة والقلوب السليمة. أم الزيغ والقلوب المنكوسة؟

لشدة ضلالهم وابتعادهم عن الحق وسبله ضرب الله عز وجل بهم مثلا لكل ضال ظالم لنفسه، مائل عن الحق مع وضوحه وكثرة الداعين له

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ(١٤))

فما كان جوابهم

(قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)[٢٦]

شبهة طالما رددها الضالون والمعاندون إلا وهي بشرية الرسل، شبهة تنم عن فساد فكرهم وسذاجته، فما كان جواب الرسل بوصفهم

شخصيات فاعلة؟ كان جوابهم غاية في اللطف وأنموذجا جيداً لسدادة الرأي وإقامة الحجة والبرهان

(قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[٢٧]

وتستمر مجادلتهم الفارغة إلا من فساد الرأي وسوء الظن

(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)[٢٨]

وسط هذا الجدل العقيم من قبل أصحاب القرية والدعوة المتلطفة المقنعة من قبل الرسل، ظهرت شخصية فعّالة أخرى هي شخصية الرجل

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)[٢٩]

ويشعر القرآن الكريم عبر صورة الرجل المؤمن التي رسمها أنه جاء بأمر مهم، وفي وقت حاسم وقت شدة المجادلة، وكأنك تشعر بأنفاسه وهي تضطرب بصدره لشدة سعيه وحرصه على تبصرة قومه بالحق الذي اهتدى إليه. ودليل حرصه أنه وضعهم على أول خطوات الطريق طريق الخلاص والنجاة (اتبعوا المرسلين.....) وفي هذا برهان واضح على ايجابية الشخصية وفعاليتها، فالإخلاص للقوم والنصح لهم، والدعوة للحق عامة، والحرص على تبليغ هذا الدين؛ لهي من الأسباب التي تقرب العبد إلى ربه وتثقل حسناته في

الميزان، وتشهد للشخصية بالحيوية والفاعلية في أداء دورها بوصفها أنموذجا مؤمناً، ومما يؤكد فعالية هذا الشخصية أيضا أنها الوحيدة من بين جمع كثير من الناس عرفت الحق - بهداية الله - وثبتت عليه، وهذا أمر واضح في صيغة التعبير القرآني

(اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ)[٣٠].

ففي الخطاب ثمة معطيان، الأول: تفرد الرجل في معرفة الحق والدعوة إليه. والمعطى الثاني: تكرس في استعمال الفعل (يسعى) بما يفيض من دلالات تنم عن حرص الرجل وجهده في إيصال الحق والدعوة إليه، فلا غرابة فهو منهج الدعاة الصابرين وسبيل الرسل والأنبياء والصالحين. فكان حسبه أن يدل قومه على طريق الهداية بقوله (اتبعوا المرسلين) لكن ينبوع الحق الذي تفجر في وجدانه أبى إلا أن يفيض خيراً يشمل الجميع، فهو لا يدع وسيلة ولا سبيلاً إلا واستعمله في حواره مع قومه عسى أن يهتدوا فلجأ إلى أسلوب الحجج العقلية واستعمال المنطق والبرهان، فبرزت فعالية الشخصية في معرفتها الحق أولا، والدعوة إليه ثانياً، وإتباع السبيل الصحيح في الدعوة من لين في الأسلوب، ورفق بالمدعو والصبر عليه، مع أقامة الحجة ثالثاً، والمتتبعُ للقصة في سورة يس يجد أن القران الكريم ينقلنا إلى مشهد آخر وجو جديد يبدو فيه الرجل وهو ينعم في الجنة (ويوحي سياق القصة إنهم لم يمهلوه إن قتلوه، وان كان لا يذكر شيئاً

من هذا صراحةً، إنما يسدل الستار عن الدنيا وما فيها وعلى القوم وما هم فيه، ويرفعهُ لنرى هذا الشهيد الذي جهرَ بكلمة الحق متبعاً صوت الفطرة، وقذفَ بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل نراهُ في العالم الآخر، ونطلع على ما ادخرهُ الله تعالى له من كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد)[٣١]:

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)[٣٢].

وانظر معي إلى الشخصية الفاعلة... إلى الرجل الطيب المؤمن... إلى النفوس عندما تترفع عن تفاهات الحياة وصغائرها... إلى القلوب عندما يشملها الحب والخير والصلاح، رجلٌ يرفلُ بنعيم الجنة وخيرها وبما أكرمه الله ونعمه، وما برحَ يذكرُ قومهُ بالرغم من كل الذي بدر منهم، بالرغم من أنهم قتلوه. يتمنى من قلبه كله ان يراهُ قومه لا شماتة بهم وإنما حسرة عليهم، لأنهم لم يشاركوه هذا النعيم!!! أي إيثار وحب يضطرم في خافق هذا الرجل المؤمن، بل أي صدق وخير يكنهُ للبشرية ولقومه حتى وان كانوا قاتليه!!!!!

(قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ).

نطلُّ هنا على إشراقة أخرى من إشراقات الشخصية في القصة القرآنية، ولن نتناول هذه المرة القصة بتمامها وكمالها، وإنما نقتطع منها مشهدا واحداً تبدو فيه فعالية الشخصية بإزاء الأحداث، ويبدأ هذا المشهد مع هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الجزيرة العربية بعد

دعوته لقومه سنوات طويلة جوبه فيها بالصد والإعراض حتى من قبل اقرب الناس إليه (أبيه) فهاجر هجرة مكانية وزمانية ونفسية، هجرة ترك فيها الوطن والأهل والزوجة والأقرباء، هجرة إلى ارض نائية موحشة جدباء... فكان من حقه أن يتضرع إلى الله تعالى طلباً للذرية الصالحة، والأنيس في تلك الأرض الخالية

(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)(٣٣)

فاستجاب له ربه فرزقهُ بابنه إسماعيل عليه السلام، وللإنسان أن يتصور فرحة الأب الغريب الوحيد بالابن الأنيس، وللإنسان أن يتصور فرحة إبراهيم بابنه إسماعيل بعد طول انتظار وتقدم بالسن. وكبر إسماعيل عليه السلام وكان حبه في قلب أبيه اكبر، ولاسيما أن إسماعيل عليه السلام كان حليماً مطيعاً ذكياً

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)(٣٤).

وجاء الامتحان العسير، وجاءت الرؤيا - ورؤيا الأنبياء حق - تشير له أن يذبح ابنه الذي طالما انتظره أنيساً لوحدته ورفيقاً ومعيناً لكبره

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى......)(٣٥)

ويذعن إبراهيم عليه السلام لتلك الإشارة الربانية مطيعاً ممتثلاً دونما سؤال أو نقاش لمجرد رؤيا رآها في منامه... ولكن قبل أن ينجز رؤياه كان عليه أن يُخبر إسماعيل عليه السلام بهذه الرؤيا

(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)[٣٦].

فهل أراد إبراهيم عليه السلام أن يسمع ردة فعل إسماعيل؟ أو أن يرى الأثر الذي يتركه هذا الخبر في نفسه؟ أو هل كان إبراهيم يتمنى أن يمتنع إسماعيل فيعتذر لربه؟

ولكنه إسماعيل عليه السلام، الابن الحليم، الشخصية الفاعلة، إسماعيل النبي المطيع يعلنها دون تردد

(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[٣٧].

فهل يوجد بيننا من يضحي بأقل من ذلك، من يضحي بجهده وماله ووقته لمجرد رؤيا .... نعم إنها الشخصية الفاعلة إسماعيل عليه السلام الصابر المحتسب، فسلامٌ على المرسلين ونعمَ عقب الدار بما صبرتم.

وتبرز فعالية الشخصية في القصة القرآنية عندما تقف شخصيتان أو أكثر موقفين متناقضين بإزاء حدث واحد، بمعنى آخر عندما تمثل هاتان الشخصيتان أيديولوجيتين مختلفتين، فتمثل إحدى هذه الشخصيات الموقف الايجابي تجاه الأحداث والأخرى الموقف النقيض. وتتضح هذه السمة أكثر في قصة صاحب الجنتين الواردة في سورة الكهف، فثمة رجلان: الأول ثري جداً قد أتاه الله جنتين وخيراً كثيراً. والآخر يمثل الدور الايجابي دور الناصح المذكر بأنعم الله تعالى

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ

آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)[٣٨]

ويمكن لمس السمات الايجابية لشخصية الناصح أو المذكر على هذا النحو: استعمال المنهج العقلي في حواره مع صاحب الجنتين، ولا يخلو أسلوبه من رفقٍ ولينٍ كما في قوله تعالى

(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)[٣٩].

ويمكن بعد ذلك إضافة الكثير من السمات الايجابية على الشخصية منها: إتباعها طريق الحق والهداية واقتفاء اثر الرسل والصالحين، وكما يتضح الجانب الايجابي للشخصية في القصة القرآنية عبر تعاملها مع الأحداث والمواقف، يتضح أيضا من خلال حوارها بأساليبه وطرقه المختلفة داخل القصة القرآنية، فالى جانب ما تتمتع به العبارة المؤدى بها الحوار من جمال وبلاغة هناك اهتمام بالجانب الأخلاقي والتربوي والنفسي في الحوار، ومراعاة لطبيعة الشخصية المتحاورة والمتحاور معها، مما يكشف عن فعالية الشخصية

في هذا الشأن، فلو إننا استعرضنا بعضاً من أنماط الحوار في القصة القرآنية لأدركنا سريعاً الدور المميز للشخصية، وتمثل طريقة حوار الأنبياء مع الله تعالى أسلوب دعوة ومنهجاً عاماً للبشرية كافة وهي في سبيل عبادة الله تعالى، ومناجاته بالدعاء أو الذكر أو الاستغاثة أو غيرها. ومن حسن مراعاة المقام بوساطة أساليب التعبير ما جاء في قصة موسى والرجل الصالح، فنحن في هذه القصة بإزاء ثلاثة أحداث أدهشت موسى وأفقدته صبره، من هذه الأحداث الثلاثة حدثان ظاهرهما العيب والتخريب وهما: خرق السفينة وقتل الغلام. وفعل واحد ظاهره الإصلاح وهو: إقامة الجدار الذي أراد أن ينقض:

(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)[٤٠].

ويتباين المستوى التعبيري للشخصية الفاعلة (الرجل الصالح) مع تباين الأحداث الثلاثة، فبعد أن ينكشف النقاب عن تأويل هذه الأحداث نلمح مستويين من الخطاب على صعيد نسبة هذه الأحداث، فخرق السفينة وقتل الغلام عيبان في ظاهرهما لذا ينسبان للرجل الصالح، أما إقامة الجدار بما ينطوي عليه من إصلاح في الظاهر والباطن فينسب إلى الله عز وجل مباشرة

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[٤١].

يبدو أن فعالية الشخصية تبرز بما تؤديه من جمالية في اللفظ المفرد ضمن علاقته بالمجموع بوصف خطابها خطابا متجانسا يحمل الكثير من المعطيات الجمالية، وذلك بالاستناد إلى علاقة اللفظة المفردة بالخطاب ككل، أو تلبية الخطاب لمعايير أخلاقية خارجية أو

لتصورات عقلية جاءت منسجمة مع مضمون الخطاب - وهذا ما تميزت به الأسلوبية عن البلاغة التقليدية[٤٢] فضلاً عن احتواء الخطاب القرآني على الكثير من الأساليب البيانية مثل التحديد والتقييد ودفع التوهم والتفصيل والاحتراس، ومن الجدير بالذكر إننا توسعنا في قضية مراعاة المقام وحسن التأدب مع المخاطب وقد تكرس هذا المعنى الجمالي في خطاب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لربهم.

فقد تكرست في قصة أيوب عليه السلام مثلا بعض جماليات الخطاب في دعائه لربه، ومناجاته له، إذْ اسند ما يمر به من داء إلى الشيطان وأوكل مهمة الشفاء لله تعالى

(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)[٤٣]

لذلك كله استحق أيوب عليه السلام هذا الثناء العظيم من الله تبارك وتعالى

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[٤٤]

فنسبه الضر لمخلوق قد يكون الشيطان أو غيره - كما في الآية السابقة- وحسن مراعاة مقام المخاطب، والتأدب معه لهي واحدة من اكبر جماليات الخطاب في القصة القرآنية

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[٤٥]

فجيء بالنعت حكاية عن أيوب عليه السلام (ارحم الراحمين) لئلا يتسرب إلى الذهن ان هذا من باب الاعتراض والجزع، وقلة الصبر وذهاب الورع فـ (ارحم الراحمين) توصد الباب تماما أمام المشككين والمتحيرين من صبر أيوب عليه السلام، ومما يؤكد هذا جواب أيوب عليه السلام نفسه لما طلبت منه زوجته أن يدعو ربه ليشفيه فقال لها ((عشت سبعين صحيحا، فهل قليل لله أن اصبر له سبعين سنة))[٤٦].

إذا كانت واحدة من جماليات الخطاب تمثلت في نسبة الشر والنقص والعيب إلى الشيطان أو مخلوق آخر، فنسبة ما فيه من خير وصلاح إلى الله تعالى تمثل الملمح الجمالي الثاني في أسلوب الخطاب القرآني، فالمتأمل لقول إبراهيم الخليل عليه السلام:

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[٤٧]

يجده نسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى ولما جاء إلى ذكر المرض قال (وإذا مرضت......) ولم يقل أمرضني وقال فهو يشفين.

إن صياغة الخطاب على هذا النحو أمر معهود في القران الكريم فأفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله تعالى، فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل إلى المجهول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حُذف وبني الفعل للمجهول أدبا في الخطاب[٤٨]، ومنه هذه الآية في سورة الجن في قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن

(وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)[٤٩]

فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشر، وبنوا الفعل للمجهول. والأمثلة عن هذا اللون من الخطاب كثيرة جدا وهو بالتأكيد ملمح جمالي لمراعاته لمقتضى المقام، ومستوى المخاطب وانسيابيته 'ودقة معانيه وذلك كله من غير تكلف في الأسلوب.

وثمة صورة أخرى تتجسم فيها جماليات الخطاب من خلال التأدب مع الله تعالى وحسن مراعاة المقام، كما في الخطاب الذي جاء حكاية عن عيسى عليه السلام يوم جُوبه بهذا السؤال الكبير:

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ...........)[٥٠].

فما كان جوابه يا ترى؟ كان جوابه جواب الخاشع المنيب المتأدب في الخطاب فبدأ بالتسبيح تنزيه لله تعالى على أن يشركه احد في ربوبيته وإلوهيته، فقال (سبحانك) وواضح أن صيغة التنزيه (سبحانك) ليست عين الجواب، ولكنها من متمماته وحسن مراعاة المقام، ثم يسرع إلى التبرؤ المطلق من أن يكون من شأنه هذا القول، وهو إقرار بأن الإلوهية هي حق صرف لله تعالى لا يشاركه فيها احد، ويستشهد بذات الله تعالى على براءته، مع تصاغر أمام الله وبيان خصائص عبوديته وخصائص إلوهية ربه

(قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[٥١]

ويكشف الخطاب عن صورة جميلة من صور الثناء على الله تعالى مشفوعة بالإقرار بأنه تعالى يعلم السر وما يخفى ولا يحيط بعلمه أحد، وعندئذ فقط وبعد هذه التسبيحات الطويلة يجرؤ على الإثبات والتقرير فيما قاله وفيما لم يقله، فيثبت انه لم يقل لهم إلا أن يعلن عبوديته وعبوديتهم لله تعالى ويدعوهم إلى عبادته

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[٥٢]

ولم يغادر الخطاب بعدئذ الأسلوب التأديبي الذي اعتنى به مراعاة للمقام، وتجد ذلك في تفويض عيسى عليه السلام الأمر كله بشأن قومه لحكمة الله تعالى فيما يقسمه لهم من جزاء سواءً أكان مغفرةً أو عذاباً

(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٥٣)

وهذه قصة أخرى من قصص القرآن الكريم، تتجلى فيها جماليات الخطاب إلا وهي قصة لقمان مع ابنه، فقد شهد الله تعالى في حكمة لقمان عليه السلام مع أن القول الراجح انه ليس نبياً، وقد ورد في حكمة لقمان آثار كثيرة، ذكرها المفسرون، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، ولكننا سنقف مع ما نلمسه من حكمة في القصة التي ذكرها القران الكريم والأسلوب الذي وردت فيه، إذ أن أول ما يشدنا إلى هذه القصة هو جمالية الخطاب، وحسن الأسلوب الذي يستخدمه لقمان أثناء دعوته لابنه، حتى انه يخاطبه بأحب الألقاب إليه، وأقربها إلى نفسه (يا بني) وبهذا يتمكن من السيطرة على قلبه وعقله واستعماله هذا اللفظ في بداية الخطاب (يا بني) ادعى لقبول النصح والوعظ، وان مبعثه الحب والشفقة والقربى، ثم أن لقمان جمع في خطابه لابنه بين الأصول والفروع، والأقوال، والأفعال، والاعتقاد، والأمر والنهي. فها هو ينهاه عن الشرك

(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)

ثم يأمره بالصلاة

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(٥٤)

ويذكره بعدل الله تعالى وشمول علمه وإحاطته،

(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(٥٥)

ثم تجده يأمره بان يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينهاه عن الكبر، والخيلاء والعجب والغرور وحتى مشيته يبين له كيف تكون، وصوته له ضوابط وموازين

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ

فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ)(٥٦)

إن وصايا لقمان لابنه بلغت عشراً بين أمر ونهي وإخبار في معنى الأمر والنهي، ذلك كله في كلمات قصيرة جميلة بعيدة عن التكلف، بيد أنها كلمات قصيرة المبنى كبيرة المعنى، وترجع فاعليتها إلى:

حسن الأسلوب وجمالية الخطاب، واختيار أفضل الكلمات للوصول إلى قلوب المدعوين، مع الإيجاز والتركيز والشمول وعدم الإخلال بالأصول من التوحيد وغيره، ومراعاة الفروع.

وتتكرس جماليات الخطاب في القصة القرآنية أحيانا في إيجاز العبارة مع إحاطتها بالمعنى بصورة تامة، واشتمالها على أكثر من غرض في آية واحدة مثل قول لوط لقومه

(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ )(٥٧)

فقد اجتمعت في الآية الكريمة أنواع من الاستعطاف في أسلوب سهل العبارة واضح الدلالة. فقد خاطبهم بخطاب الناصح المشفق

بقوله (يا قوم..)، ولم يقل يا هؤلاء وعرض عليهم بناته بقوله: (هؤلاء بناتي) ثم رغبهم بالزواج بهن لطهارتهن وطيبهن، وقد استدرك ذلك بتذكيرهم بالله تعالى بقوله: (فاتقوا الله) مع المطالبة بحفظ الذمم بقوله (ولا تخزون) فلما رأى إصرارهم على فسادهم وبغيهم قال لهم:

(أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

كل هذه المعاني قد وردت في خطاب واحد حكاية عن لوط لقومه(٥٨).

وأحياناً تتجلى جماليات الخطاب عندما يسهم في رسم صورتين متناقضتين ؛ليؤدي إلى الكشف عن طبيعة هاتين الصورتين، فتبدو لك الأولى من خلال الخطاب غاية في الرقة والهدوء والدعة والطاعة مائلة إلى النصح والصفح، وأخرى في غاية الجفوة والوقاحة، صورة داعية إلى الباطل والإفساد والضلال. الصورة الأولى تتضح في خطاب الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه إلى أقوامهم إذ تحمل مفردات الخطاب هنا السلاسة واللين والرقة مع تجانس في كلماتها فتنساب رقراقة هادئة تخاطب الوجدان والقلوب لتنطلق منها إلى العقول، في حين تفصح الصورة الثانية من الخطاب، خطاب الأقوام الكافرة لأنبيائهم عما هم عليه من الضلال والزيغ، فمن خلال شدة مفردات الخطاب وثقل وقعها، وغلظة مفرداتها تشعر بضلال القوم، وفسادهم، فهذه سلسلة من الأحداث بين الأنبياء وأقوامهم تتجلى فيها الصورتان على نحو واضح.

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[٥٩]

وقوله تعالى حكاية عن هود:

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)[٦٠]

فما كان جواب قوم هود إلا أن قالوا:

(قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)

فحينئذ قال لهم:

(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٦١]

والأمثلة كثيرة في القران الكريم لصورة الخطاب بين الأنبياء وأقومهم كما في خطاب شعيب ولوط عليهما السلام التي ذكرها القران الكريم[٦٢] فالخطاب القرآني يتميز بفعاليته وهو يحاول أن يرسم حالة المخاطب وصاحب الخطاب رسماً دقيقاً معبراً، ليشترك اللفظ والمعنى الصوت وترتيب الكلمات وتركيبها في الإفصاح عن المعنى العام المراد تأديته. كما أن حوار الشخصيات يسهم في رسم الشخصية القصصية بنائياً.

وقد تكون جماليات الخطاب في التناسب اللفظي والمعنوي وسببه اختيار لفظة أو تركيب قرآني يتسق بمعانيه مع موضوع النص، أو المعنى العام وفق ترتيب معين مقصود.

وإذ يعد التناسب المعنوي وجها من وجوه الظاهرة الجمالية، فإن التتبع المعنوي للقرآن الكريم مما يثري هذه الظاهرة في كثرة الموضوعات المألوفة والمجهولة التي عرضها، وكان له في كثير منها قصب السبق بإبرازها فكريا وعلميا واجتماعيا وتربويا لا من حيث تعدادها وتنوعها وكثرتها ومعالجتها المشكلات المختلفة وحسب، وإنما من حيث تناسق بعضها مع بعض وعرضها بشكل فني رائع. والجمل القرآنية وحدها مضمون فكري ومعنوي متناسق مع تسلسل تركيبها وتناسب ألفاظها.

خذ مثلا قوله تعالى:

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٦٣]

تجد إسماعيل معطوفاً على إبراهيم، فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، ولكن تأخره في الذكر، يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساسي فقد قام به إبراهيم، (قيل كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة) كما ذكره ابن كثير في تفسيره[٦٤] - فنزلت الآية، وكأنها كادت ستنسى دور إسماعيل لثانويته، ثم ذكرته بعد أن انتهت من تكونها . ويتم التناسق أيضا في صفات فئة من الناس تؤدي كل صفة منها إلى الأخرى حيث تمضي الجملة القرآنية، وقد كونت من كلمات قد اختيرت، ثم نسقت في سلك من النظام، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق، ودقة ترتيب، وإحكام في تلاؤم. واقرأ قوله تعالى:

(الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٦٥]

فترى هنا آيات قد التحم نسجها، وارتبط بناء بعضها ببعض، تسلم الجملة إلى أختها في التئام وتناسق، فالجملة الأولى قد وصفت القران بالكمال، ووصفته الجملة الثانية، بأنه لا يعلق به الريب، لا في إخباره ولا في نسبته إلى الله تعالى، وفي الجملة التالية جعله هادياً لأولئك الذين يخشون الله ويتقونه، ومضت الآية الثانية تصف هؤلاء الذين ينتفعون بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمور غائبة لا يرونها، ويقومون بواجبهم لله، فيؤدون الصلاة كما يجب أن تؤدى، وواجبهم للمجتمع، فيقدمون من أموالهم ما يساعدون به البائس والمقتر، ولا يتعصبون لرسول دون رسول، بل يؤمنون بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما انزل من قبله، ورأس الإيمان وأساسه هو إيمانهم باليوم الآخر، لأن ذلك الإيمان يدفع إلى العمل الصالح، وينهى عن المنكر والبغي، فلا جرم أن كان أولئك على هدى من ربهم، وكانوا مفلحين.

وقد يأخذ التناسق ألواناً من الانتقال في الخطاب والغيبة؛ لإبراز معنى أو صفة أو حالة يقتضيها السياق، مثلاً قوله:

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ

آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)[٦٦]

فالانتقال من الحديث عنهم، إلى الحديث إليهم زيادة في تهديد من قالوا في الرحمن قولاً عظيماً، ومواجهة لهم بالسخط عليهم.

ومن ذلك قوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[٦٧]

فقد يكون ظاهر السياق أن يقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليره من آياته انه هو السميع البصير. ولكنه عدل عن الغيبة إلى الحضور في وسط الآية تعظيما من شأن المسجد الأقصى ومن شأن ما يري الله تعالى من آياته. ونظير هذا قوله تعالى:

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[٦٨]

فعندما جاء الحديث عن زينة السماء الدنيا نسب ذلك إلى نفسه صراحةً لما فيها من الجمال الذي يبهر نفس رائيه والنفع الملموس لهم فذكرهم الله بأنه خالق هذا الجمال ومبدع هذه الزينة[٦٩].

وكذلك من صور الخطاب في القران الكريم هي الإحاطة بالمعنى المراد تأديته من نواحيه كلها بحيث يشتمل على الأصول ويحقق المراد بما لا يدع للمتوهم طريقا إلا وقطعه، ولا للمتحرف سبيلاً إلا وأوصده، ومن ثم فالخطاب في القران الكريم يلخص الكلام ويقسمه تقسيما رائعا يزيده وضوحا وجمالا، فالمتأمل في قوله تعالى لموسى عليه السلام منادياً:

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)[٧٠]

فبعد الإعلان عن تكريم الله تعالى لموسى والاستعداد والتهيؤ

بخلع نعليه، يأتي التنبيه للمتلقي (فأستمع لما يوحى) فيلخص ما يوحى في ثلاثة أمور مترابطة: الاعتقاد بالوحدانية، والتوجه بالعبادة، والإيمان بالساعة وهي أسس رسالة الله الواحدة، فأما الإلوهية الواحدة فهي قوام العقيدة والله في ندائه لموسى يؤكدها بكل المؤكدات بالإثبات المؤكد (إنني أنا الله) وبالقصر المستفاد من النفي والاستثناء (لا اله إلا أنا) الأولى لإثبات الإلوهية لله والثانية لنفيها عن سواه، وعلى الإلوهية تترتب العبادة والعبادة تشمل التوجه لله في كل أنشطة الحياة؛ولكنه يخص منها الصلاة ((وأقم الصلاة لذكري)) فأما الساعة فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل فجاء الخطاب مقسما ومفصلا لهذه الأسس الثلاثة الأصلية بفضل أسلوبي التلخيص والتقسيم، يضاف إليهما دقة الألفاظ وتركيزها على أداء معنى محدد يكشف عن بلاغة الخطاب وجمالياته فالمتأمل لقوله تعالى في سورة يوسف:

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٧١]

يجد أن الله تعالى قال (امرأة العزيز) ولم يسمها باسمها وذلك أشنع في رسم صورة ما صدر منها من مراودة يوسف عن نفسه فهي ليست كالنساء منزلة لأنها امرأة العزيز، ومن ثم قال تراود بصيغة الفعل المضارع ؛لإفادة الفعل الاستمرار والتكرار فعدل عن الفعل الماضي راودت مع إن ما حصل منها كان في زمن فات، فحكاية النسوة جاءت بعد علمهن لما حصل فقولهن سبب لنتيجة ثم قال، (فتاها) ولم يقل يوسف ليوحي بأنه لا زال فتى صغيرا وهو بمثابة الخادم في

البيت، ولجأ إلى أسلوب دفع التوهم بقوله (عن نفسه) لئلا يتسرب إلى الذهن أنها راودته عن شيء غير نفسه ثم قال (قد شغفها حبا) والحب عندما يصل إلى شغاف القلب يعني انه وصل إلى منتهاه وبلغ منها كل مبلغ، فكثيرا ما يرد في الخطاب القرآني أساليب تنم عن جماليته منها التحديد والتقييد في مثل قوله تعالى:

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)(٧٢)

فجاء بـ (سلاماً) لأن من البرد ما يقتل وكذلك قوله سبحانه عن:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(٧٣)

فقد قيد الحسد المنهي عنه والذي يأكل الحسنات بحسد الحاسد عندما يعلن حسده؛ لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يترتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيء من ذلك ولا يعاجل أخاه إلا بما يحب الله فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله، فقد قيد الحسد المنهي عنه إذا ما صارت خواطر القلب أفعالاً وأقوالاً وبذلك فقد أعطى الخطاب في القران الكريم فهما دقيقاً للمعنى(٧٤).

ومن الملاحظ أن جمالية الخطاب في القصة القرآنية لا تنبع من جودة ألفاظه ودقة معانيه، وحسب وإنما تتكرس في علاقة اللفظ

المفرد بالخطاب ككل، أي بمنظومة العلاقة التي تقيمها الألفاظ مع بعضها لتشكل بمجموعها خطاباً متجانساً بليغاً ومراعياً فيه المعايير الأخلاقية والتصورات العقلية، وذلك بالاعتماد على الكثير من الأساليب البيانية مثل التحديد والتقييد ودفع التوهم والتفصيل والاحتراس وحسن مراعاة المقام وتعدد وجوه المعاني وغيرها. وان اللفظ المفرد لا يشكل وحده معلماً جمالياً في الخطاب القرآني ما لم ينظر إليه في ضمن علاقته بالمجموع، ثم أن الكثير من المعطيات الجمالية في الخطاب القرآني تتركز في حسن مراعاة المقام ولاسيما في خطاب الأنبياء لله عز وجل والذي اتسم بالدقة والفصاحة من جهة والتأدب والحكمة من جهة أخرى، كما في قصتي موسى وأيوب عليهما السلام مثلاً. وتجلت جمالية الخطاب على نحو واضح في إيجاز العبارة مع إحاطتها بالمعنى بصورة تامة واشتمالها على أكثر من غرض وبعد، فضلاً عن التناسق اللفظي والمعنوي وسببه اختيار لفظ أو تركيب قرآني يتسق بمعانيه مع موضوع النص أو المعنى العام وفق ترتيب معين مقصود كما في قصة إبراهيم عليه السلام مثلاً. وبعد ذلك فمعظم جماليات الخطاب تعود إلى تقسيم الخطاب وتفصيله كما بينا ذلك بأمثلةٍ من آيات القرآن الكريم.

تكرس مفهوم الشخصية الفعالية في القصة القرآنية في اغلب الأمثلة التي عرضت من خلال نماذج فردية محددة، مثل شخصية موسى، وإبراهيم وإسماعيل، ويوسف عليهم السلام، أو شخصية مؤمن بني إسرائيل أو الرجل الصالح في قصة موسى، وحبيب النجار في قصة أصحاب القرية، أو شخصية بلقيس في قصة سليمان عليه السلام....... الخ

ولكن ما قُدمَ من أمثلة عن الشخصية الفعالة لا يمثل قاعدة ثابتة، أو حقيقة مستقرة في القصة القرآنية، إذ تجسدت الشخصية الفعالة عبر مجموعة من الشخصيات، كأن يكون رهطاً، أو قبيلة، أو قوماً، أو جماعة من الناس كما هو الشأن في قصة أصحاب الكهف، وقوم يونس عليه السلام، والحواريين....... الخ

ونقف هنا عند نموذج من هذه الشخصيات الفعالة، ألا وهم سحرة فرعون ولنتأمل قصتهم بقلوبنا أولاً لنقيم صنيعهم، ونقدر لهم فعلهم على وفق قوانين زمانهم ومكانهم وموقعهم الذي هم

(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)[٧٥].

جاءوا ليدحضوا الحق بالباطل، فعرفوا أن الحق أقوى من أن يقهر أو أن يتقهقر فانتفضت قلوبهم لهذا الحق، وارتعش وجدانهم فأنها صولة الحق في الضمائر، ونور الإيمان في المشاعر، والقلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين..... نعم إنهم السحرة الورقة الرابحة بيد فرعون في تحديه لموسى في الميقات المزعوم، والدواء الذي يشفي غروره وجبروته أمام دعوة الحق، دعوة موسى. كان السحرة

يعلمون أهمية دورهم في هذه المعركة الحاسمة بين فرعون وموسى، بين الحق والباطل، يدفعهم في ذلك كله إغراء المال

(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)[٧٦]

ولكن بالرغم من ذلك كله لم يستطيعوا أن يحجبوا الشمس بغربال، أو أن يخرسوا صرخات الحق وهي تصدحُ في ضمائرهم وعقولهم قبل آذانهم. فهم يعلمون علم يقين إنما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر بل الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين؟!!! فماذا يا ترى هم فاعلون؟.

لم تدم وقفتهم طويلا فقد حسموا أمرهم بعد ما عرفوا انه الحق من ربهم فقرروا أن يتبعوه «رغم إدراكهم أن فرعون قاتلهم أو معذبهم لا محال ولكن (لابد للشهد من ابر النحل)» ولابد للجنة من ثمن، فقد اخرج الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً)[٧٧] قال: كانوا في أول النهار سحرة وفي أخر النهار شهداء[٧٨]. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره «والظاهر أنه - أي فرعون - أوقع بهم ما توعدهم عليه وأن الله تعالى ثبتهم على الإيمان»[٧٩].

لنا الحق بعد ذلك أن ننعت هذه الشخصيات بالايجابية والفعالية بعد المواقف التي مرت بها، ففي البدء اهتدت إلى الحق عندما اتضحت سبله ومعالمه، وثبتت على إيمانها بالرغم من توعد فرعون وتهديده لها بالقتل أو الصلب، ومن ثم إنها دعت إلى الحق الذي معها وصبرت من اجله. فطوبى للصابرين.

وواضح أن البناء الفني للشخصية المؤمنة في القصة القرآنية يقوم على بيان الأبعاد الحسية والمعنوية كما يهتم بالبعد المادي الخارجي بنحو اقل، وقد قدمت وفقه بصورة عالية الجودة تنبض بالحياة والحيوية وتنسجم تماماً مع الحدث بل وتعبر عنه، وتراعي خصوصية زمانها ومكانها، ومما يزيدها ثراء وواقعية حوارها الفعال والبناء والمعد أصلاً لبيان حال الشخصية ومواقفها الفكرية. وكيف لا تكون كذلك ونحن نتكلم عن الشخصية في كتاب الله العزيز؟

# الفصل الثاني

# الشخصية المؤمنة
# في الرواية الإنسانية

# بنية الشخصية الروائية

الشخصية هي أحد العناصر الرئيسة التي بها يتجسد فحوى القصة[٨٠] وتعد ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، وهي من المقومات الأساسية للرواية وبدونها لا وجود للرواية، لذا نجد بعض الباحثين يعرفون الرواية بقولهم: الرواية شخصية...[٨١] مستندين بذلك إلى أنها أهم عنصر من عناصر الفن القصصي، والمركز الأساسي لكل عمل خاص بفن القول بما في ذلك العمل الروائي[٨٢] وهي جوهر العمل الروائي والمقياس الذي تقاس عبره قدرة الروائي على انجاز عمل فني مميز يحظى باستحسان القراء[٨٣] وليس هذا فقط وإنما صارت عملية بناء شخصيات ناجحة في العمل الروائي هي السبب المباشر لاهتمام القراء بأية رواية على حد تعبير إليزابيث بوين[٨٤] وعلى وفق هذا التأسيس وبسبب من الأهمية البالغة التي تحتلها الشخصية في الرواية، أصبحت عملية بنائها بصورة فنية من أصعب المهام وأدقها حساسية.

ونتيجة لهذا الدور المميز الذي تشغله الشخصية في السرد الروائي كانت محط عناية الروائيين التقليديين فهي عندهم تحظى

باسم ولقب ومكانة اجتماعية مميزة وتفرد لها غالبا صفحات كاملة لوصفها وصفا مستقصيا، كما هو الشأن في روايات بلزاك وفلوبير وغيرهم[٨٥]، وكان هذا الوصف معظمه يدور حول الملامح الخارجية للشخصية من دون أن يولي كبير عناية للملامح الداخلية، ومع ظهور رواية تيار الوعي وبفضل الاكتشافات الجديدة والبحوث المستقصية في ميدان علم النفس صار الاهتمام بالشخصية من نوع آخر لا يكتفي القاص بوصف المظاهر الخارجية من منظور الراوي الخارجي، بل يتجه إلى داخل الشخصية، محاولا وصف نفسيتها واستجلاء مشاعرها وتحليلها، وغالبا ما يترك للشخصية في هذا اللون من الروايات حرية التعبير عن نفسها من منظورها الذاتي وبضمير الـ (أنا)[٨٦] وبعد التحول الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته أوربا في منتصف القرن العشرين وما صاحبه من تطور صناعي وتكنولوجي كبيرين تغيرت النظرة للإنسان والأشياء، فقد وصل الإنسان إلى مرحلة إذعان وخضوع للأشياء والمواد، وخف اعتماده على القوة البشرية والأيدي العاملة، ولعل ذلك كله أنعكس بدوره على الأدب، فقد ظهر عدد من الروائيين الجدد من أمثال الآن روب جرييه ومشيل بوتور تجاهلوا الشخصية ودورها في رواياتهم وأطلقوا على رواياتهم الرواية الشيئية أو الفينوميولوجية أو الرواية الجديدة، والشخصية في هذه الرواية تلعب دورا هامشيا فهي مجهولة الاسم والهوية وغالبا ما تتحول إلى رمز[٨٧] أو ضمير[٨٩].

وواكب عملية التحول الذي شهدته الشخصية الروائية عدد من الدراسات النقدية كان أكثرها حداثة وتأخراً تلك الدراسات النقدية التي تنظر إلى الشخصية على أنها دليل له وجهان، دال ومدلول، دال

من حيث اتخاذها أسماء أو صفات عدة تلخص هويتها، ومدلول من حيث الناتج النهائي لمجموع ما يقال عنها عبر جمل متفرقة في النص، أو عبر تصريحاتها هي في القول والسلوك[٩٠]، وتنظر تلك الدراسات للرواية بوصفها وحدة متجانسة مترابطة لا يمكن الفصل بين أجزائها إلا على سبيل الدراسة والبحث، فهي بمثابة بنية كلية تضم مجموعة من البنى الداخلية، فالرواية في نظر جيمس جويس: شيء حي كامل متصل مثل أي شيء حي، وبالقدر الذي تكون حية، بالقدر الذي تجد في كل جزء من أجزائها شيئاً من كل الأجزاء الأخرى، فالرواية كائن حي لا يمكن تجزئته[٩١] وأساس النظرة النقدية هذه توحي بان الشخصية أو أي عنصر سردي أخر لا يمكن فصله عن العناصر السردية الأخرى؛ لأن الشخصية لا تعيش منعزلة عن باقي عناصر السرد، وإنما تدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية مثل الزمان والمكان والأحداث والرؤى السردية، وعدم النظر إليها ضمن هذه العلاقات والصلات التي تقيمها مع عناصر الرواية، يجعل من العسير فهم الدور الوظيفي والبنائي الذي تنهض به الشخصية الروائية، وما حققته الرواية الجديدة من نجاح وتمايز يعود في نظر البيريس إلى حسن توزيع هذه العناصر[٩٢] وعد الشخصية إذا عاملا تكوينيا وبنائيا مهما في الرواية، فهي تمثل حلقة الوصل الأساسية بين عناصرها كافة، ويتحدد وجودها من خلال علاقتها بما يحيط بها فبالقدر الذي يؤثر فيها هذا المحيط تؤثر فيه، وتحدد ملامحه، فلا وجود لأي شخص إلا بالنسبة لعلاقته بما يحيط به، أناس، أشياء مادية وثقافية[٩٣] وهكذا تراها متصلة بالعناصر السردية كلها اتصالا مباشرا أو غير مباشر، وحسب متطلبات السرد، ولا نبالغ أذا قلنا بعد

أن الشخصية هي أهم العناصر التكوينية على مستوى البناء والدلالة التي تبعث الحركة في الرواية، وهي العامل الذي يحرك العلاقات الحكائية ويؤزمها[٩٤].

# الشخصية المؤمنة
# وأزمة الهوية والبناء في الرواية العربية

قليلة هي الشخصيات في الرواية العربية التي تمثل أنموذجا للمسلم الملتزم أو ما يعرف بالشخصية المؤمنة، وذلك أن جل هذه الروايات تجاهلت عند قصد أو من دون قصد أهمية هذه الشخصية بالرغم من وجودها الفاعل والمتنامي في المجتمع العربي والإسلامي مما يجعل من العسير حقا تجاوزها، خاصة لمن يزعم أنه حريص على تصوير الواقع العربي المعاصر كما هو، فالواقع الحق - أن أريد للرواية أن تنطلق من أرض الواقع - أن المجتمع العربي مازال يحتفظ بقيمه، والواقع أن حركة التدين ليست في مراحل انحسارها كما يصورون بل هي في أوج نشاطها والشخصية المؤمنة تحتل مكانا واسعا في ارض الواقع العربي والإسلامي.

وربما يعود السبب في تجاهل هذا النمط من الشخصية في الرواية العربية إلى عوامل فنية متعلقة برؤية الكاتب نفسه، اعني نظرته المشوشة لهذا النموذج من الشخصيات فهو لا يملك تصورا كافيا عنها فغالبا ما ينظر إليها على إنها شخصيات مركبة أو معقدة

من وجهة نظر نفسية وبنائية مما قد يستدعي عدم حضورها حضورا بارزا في الرواية العربية، وهذه النظرة وأن بدت للوهلة الأولى أنها طبيعية إلا أنها تتجافى عن الواقع كثيرا وتمثل في الوقت نفسه خللا بنائيا جسيما يقع على عاتق الروائي مهمة أصلاحه وهو في طريق تصوير الحياة والواقع بوصف الرواية لوحة مختزلة عن الحياة[٩٥] فان جاز لنا أن نشير إلى مفاتيح النجاح في العمل الروائي على مستوى بناء الشخصية تحديدا نقول:

على الروائي الذي يريد أن يكتب رواية واقعية التدقيق في الواقع جيدا وعرضه بكل تنويعاته من دون اختزال بعضه أو تغييب البعض الآخر لا سيما إذا كان العمل الفني يستدعي حضور نمط معين من الشخصيات كما في شخصية المسلم الملتزم.

وتظل أزمة الشخصية المؤمنة ماثلة ليست على مستوى حضورها روائيا وإنما في طريقة عرضها وتقديمها أيضا فعلى الرغم من أزمة التغييب التي عاشتها الشخصية الملتزمة في الرواية العربية- إلا في نماذج محدد منها- فإن الرواية العربية لم توفق في رسم الشخصية المؤمنة كل التوفيق، فمن خلال قراءتنا النقدية للإبعاد الفنية والتكوينية للطريقة التي قدم بها هذا النمط من الشخصيات تكونت لدينا جملة من الملاحظات النقدية عن روايات عده، ولروائيين متباينين.

والطريف في الأمر أن العامل المشترك بين تلك الروايات - بالرغم من تباينها - إنها لم تفلح من وجهة نظر نقدية في تقديم هذا الأنموذج البشري على مستوى القص على نحو مقبول بالمقارنة مع

الوجود الحقيقي له، فأفضت هذه الإشكالية إلى أخطاء فنية وبنائية كبيرة على مستوى بناء الشخصية والتي تمثل إحدى المفاصل الحيوية في بناء العمل السردي عموماً. تمثل هذه الملاحظات وغيرها والتي تم رصدها على صعيد بناء الشخصية الملتزمة تحديداً جوهر موضوع البحث وهي بمثابة أزمة حقيقية تعانيها الشخصية المؤمنة بالمقارنة مع جاراتها من الشخصيات الأخرى.

لذلك فان السطور القادمة إن شاء الله تعالى تحاول جاهدة وضع الأصابع على معالم هذه الأزمة وحدودها لتقف عند أسبابها ودواعيها وآثارها السلبية على المستوى البنائي للرواية العربية الحديثة متناولة في ذلك عدداً من النصوص الروائية العربية.

# حدود الأزمة وتطبيقاتها

ذكرنا أن اغلب الروايات العربية تحمل فهما مغلوطا أو مشوشا عن حقيقة الشخصية المؤمنة، وأحد جوانب هذا الفهم المغلوط تمثل على نحو واضح في رواية القمر والأسوار لعبد الرحمن مجيد الربيعي، والتي حاول فيها كاتبها أن يقدم شخصية الشيخ علي (الشخصية الدينية) وذلك بالاتكاء على الكثير من الألوان التقليدية في رسم هذا النمط من الشخصيات أولها اسم الشخصية ذو الارتباط الديني وثانيها الاعتماد على الأوصاف المادية والتي أصبحت لازمة وشيئاً مكروراً لمن يريد تقديم شخصية دينية (اللحية الكثة والعباءة السوداء والوقار الذي يعلو محياه.... الخ) وهذه الأوصاف وان بدت أوصاف مكررة وروتينية إلا إنها لا تشكل بمفردها خللاً بنائياً صارخاً بيد أن ما يزري بالصورة حد الغموض والتشويش هو هذا الخلط المقصود أو غير المقصود لشخصية المسلم الملتزم مع شخصية العراف أو الكاهن وتقديمهما على إنهما شخصية واحدة في حين أن الواقع يشهد عكس هذا تماما، فلشخصية العراف والكاهن وحتى الساحر وجود مستقل على أرض الواقع يتنافى تماماً مع شخصية المؤمن ولعل بينهما من الخلاف والاختلاف ما يجعلهما على طرفي نقيض، إذ أن البناء

العقائدي الإيديولوجي للشخصية الملتزمة يتجافى كليا مع شخصية الكاهن الواقعة أساساً تحت مطرقة المحرم والممنوع شرعاً في اصطلاح الفقهاء جميعاً.

ولعل مثل هذا التقديم المشوش والخلط العجيب يثير في ذاكرة الناقد مجموعة من الأسئلة: هل عجز الروائي فعلاً عن الفصل بين الشخصيتين؟ ولاسيما إن لشخصية الكاهن وجوداً مستقلاً يستطيع معه تميزها عن شخصية المؤمن - هل كان هذا المزج بين النموذجين مما استدعته طبيعة الشكل البنائي داخل الرواية؟ أم هل كان هذا الفعل تجاهلاً لقيم الإسلام وثوابته في ظل أنظمة العولمة التي غزت الساحة الثقافة العربية ولاسيما الحداثوية منها؟

يتميز الربيعي بمقدرته الفائقة على تقديم أكثر من بعد للشخصية الروائية ليعطي صورة شبه متكاملة فنيا، مما يجعلها تحتفظ بملامح معينة تمتاز بها عن الشخصيات الأخرى داخل العمل الفني، فالشيخ علي في رواية القمر الأسوار وصف مادياً باللحية الكثة والعباءة السوداء والمسبحة الطويلة، ووصف معنوياً بطبيعته الهادئة، وسعيه الدائب لعمل الخير وقدرته الفائقة على تحليل الأمور والمساهمة في تقديم الحلول، ووسط هذا الوصف يدس الربيعي صفات شخصية مستقلة أخرى هي شخصية الكاهن والعراف في ضمن أوصاف شخصية الشيخ علي دون ما حاجة بنائية تستدعيه لذلك فجاءت شخصية الشيخ علي شخصية دينية مشوشة ومشوشة إلى حد كبير ومحاولة غير موفقة من قبل الكاتب في طريقة رسم الشخصية الملتزمة، لاسيما وأن وصم شخصية الشيخ علي بالكاهن والعراف لم يضيف للشخصية بعداً جديداً على صعيد بناء

الشخصية الروائية، كما يتضح في هذا المقطع من رواية القمر والأسوار:

(كان الشيخ علي يحظى باحترام نادر، وعندما يمر في الزقاق متمهلا في مشيته ومتمتماً بأسماء الله يفسح العابرون له الطريق بعد أن يحيونه بأرق الكلمات لم يضع الشيخ علي عمامة على رأسه كما يفعل رجال الدين، بل كان يضع العقال واليشماغ ولكنه أطلق لحيته تيمنا بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (أطلقوا اللحى..) وقد أكسبته هذه اللحية هيبة ووسامة تزيدها جاذبية قابليته في الحديث وعمل بائعا للبخت في شارع الهواء يفرش حصيرة على الرصيف في المنطقة المجاورة في السوق ويستقبل الزبائن[٩٦].

ويصف غرفته على النحو التالي) : في زاوية منها وضعت منضدة كتابة صفت عليها كتب دينية صفراء، وقناني الزعفران التي يستعملها في كتابة الأدعية بدلا من الحبر، كما صفت فوقها ثلاث مباخر نحاسية على هيئة قباب، ثم مجموعة من المكعبات الحديدية الصغيرة نقشت فوقها كلمات وإشارات مبهمة ترمى في طبق الصفيح أثناء قراءة الطالع)[٩٧].

أما في رواية الحرافيش لنجيب محفوظ فهنالك شخصيات دينية عدة جمعتها صفة واحدة هي حالة الانهزامية والانكسار التي تعيشها فهي ما أن تتعرض لظرف صعب أو يلم بها خطب أو تنكب في قريب أو صديق، حتى تهرع صوب المزارات والقبور متقربة لها بألا موال والنذور فلا أمل لها إلا هي، ولا ملجأ ومنجى إلا الارتماء بين عتباتها!!! (أما لا حول ولا قوة إلا بالله) فمعطلة تماماً في إيديولوجيه

شخصيات محفوظ فلم نسمعها تدعو الله تعالى وتطلب منه وتستغيث به بقدر تعلقها بالأسوار والأحجار بقبر الحسين تارة والسيدة زينب تارة أخرى والشيخ البدوي ثالثة وهكذا. ربما كان هذا حقاً ما يجري في بيئة متخلفة دينيا ولكن هل من المعقول أن تستحوذ هذه السمة من ((الانهزامية)) على أنموذج الشخصية الملتزمة في روايات محفوظ كلها تقريبا؟ فارتياد القبور والمزارات والدعاء عندها والذبح والنذر والتوسل إليها بالقرابين لرفع مكروه آو لحصول مطلوب هي سمات مشتركة بين شخصياته المؤمنة.

وهنالك ملاحظة على قدر من الأهمية يمكن أن يلمسها القارئ لرواية نجيب محفوظ ألا وهي أن شخصياته الدينية متحولة عن نمط آخر من الشخصيات فشلت في حياتها ومعاشها، أو تعرضت لظروف نفسية حادة أجبرتها إلى اللجوء للدين بوصفه وسيلة للهرب ليس إلا.

فهي أما أن تعاني أزمات نفسية اجتماعية لا تقوى على حلها أو الصمود أمامها فتلتجئ إلى التنسك والدروشة، وزيارة قبور الأولياء والصالحين، أو تشعر بالفشل والإحباط فيسلمانها إلى نزعة صوفية هي إلى الجنون اقرب. فهذه عفيفة في رواية الحرافيش مثلا تطوف كالمجنونة بأضرحة الأولياء وتتكفئ على أعتاب أبواب قراء الكف والغيب علها ترجع زوجها إلى أحضانها من جديد[٩٨] وهناك شخصيات أخرى هرعت صوب حلقات الذكر بعد أن أفلست اقتصادياً[٩٩].

ذاكر القيم الدرويش الذي لم يتزوج، القاسي بدرجة كبيرة جداً، العصبي المزاج والطبع والغامض والمعقد على نحو مبالغ فيه[١٠٠].

هكذا قدم عبد الخالق ألركابي شخصيته الدينية في روايته (قبل إن يحلق الباشق) وقد اختار الركابي لشخصيته هذه أوصافا خاصة ربما فرضتها طبيعة البناء السردي للرواية، ومن ثم لا يستطيع احد منا أن يدس انفه فيما يخص التكوين الفني للرواية بيد أن ما يمكن الإشارة إليه هي المفارقة الصارخة والتشويش غير المبرر بين الوجود الحقيقي لشخصية المسلم الملتزم وشخصية الركابي (المسخ) فرسم الشخصية على هذا النحو ووفق الأوصاف التي وصفت بها يعد عملا متنافيا تماما مع التكوين الحقيقي للشخصية الملتزمة أو الدينية، ففي الوقت الذي تكاد تكون فيه سمات التسامح والعفو والصفح والهدوء ورقة القلب والصبر وبعد النظر والسرور سمات ملازمة للمسلم وفق ما تأمر به الشريعة وتحث عليه، نجد فيه (ذاكر القيم) رجل الدين في رواية الركابي قاسيا إلى درجة كبير جداً إلى حد أن احد تلاميذه لا يزال يتذكره فترتعد فرائسه خوفا وهلعا منه: (ما أكثر ما كان يبالغ في اضطهادي بالرغم من كوني ابن الشيخ عاصي.. كان يقول لي من خلال أسنان مطبقة وهو يلوي أذني حتى يوشك أن يقطعها: - سأجعل دماغك المتحجر يتعلم. وكان يشفع ذلك بأن يأمرني بالوقوف فترة طويلة على قدم واحدة في احد المزارع)[١٠١].

ليس هذا فحسب بل إنه عصبي المزاج حاد الطبع لا يصفح ولا يعفو، وفضلا عن ذلك فهو لم يتزوج بعد على الرغم من تقدمه في السن مما يوحي انه يعاني من اضطراب نفسي.

ما يعنينا حقاً هو هذا التباين الحاصل بين الصورتين والأنموذجين الواقعي والمتخيل، فإذا كان لنا الحق في تسجيل رأينا فيما يخص بناء الشخصية لقلنا: - من الأجدر أن تقدم هذه

الشخصية وفق مسمى آخر غير شخصية المؤمن، أو تقدم وفق أنموذج مغاير له مميزات وصفات خاصة به ممكن تحديدها روائيا كأن تكون شخصية المريض النفسي والذي تركت عليه الظروف آثرها فبدت على هذا النحو من دون الخلط بين أنموذجين لهما استقلاليتهما على ارض الواقع، وهما شخصية المسلم الملتزم والشخصية العصبية أو المريضة نفسيا مما يسيء للشخصية الملتزمة ويسمها بالمعقدة والمريضة أو القاسية وهذا غير واقعي طبعاً.

أما في رواية منزل السرور، فقد تجسدت أزمة الشخصية المسلمة على صعيد بناء الشخصية وطريقة تقديمها، إذ قدمت هذه الشخصية سرديا على وفق محورين اثنين اظهرا على نحو واضح سلبية الشخصية وعدم كفايتها فعلى المستوى الفكري بدت شخصية (الملا) جامدة ومتخلفة فكريا فهي إلى الآن لا زالت تمارس الخرافة والشعوذة في العلاج والطب، وكل ذلك باسم الدين والتداوي بالرقى!! فهذا (خلف) يهرع صوب (الملا) عندما يمرض ابنه فما كان من (الملا) إلا أن استعمل طريقة البصاق في فم الصبي ليشفى لولا امتناع الصبي ومن ثم هروبه. كما يتضح في هذا المقطع من الرواية:

تناول الملا اليد الصغيرة وأومأ إلى الصبي انه يقرب رأسه منه وحرك شفتيه بتمتمة خافته ثم قال فجأة: افتح فمك وحرك فكيه وبدا كما لو أنه يجمع البصاق في فمه[١٠٢].

لا يقل رسم الشخصية (الملا) على المستوى المادي بؤسا عما قدم به على المستوى الفكري، فكل شيء بدء من المكان إلى الهيئة والملبس، وما يخصهما من تفصيلات تومئ علناً إلى سلبية الشخصية

فكراً ومادةً، وباندماج البعدين الفكري والمادي لرسم شخصية الملا تتكرس أزمة حقيقية تعيشها الشخصية المسلمة تجعلها تعاني من حالة اختناق على مستوى رسم الشخصية في الرواية العربية، ولنا أن نقيس من خلال قتامة الوصف المادي لشخصية الملا قتامةً تشعرك بالاشمئزاز وربما التقيؤ في أحيان أخرى، كما في هذا المقطع من الرواية (غرفة خاوية إلا من فراش مبسوط على الأرض، وخيل الرجل الراقد أمامه جذع نخلة مقطوع ومتيبس وملقى على أرض سبخه، اقترب فتبين العينين الدبقتين واللحية الشائبة التي تحمل بعد شعراتها بقايا حناء قديمة.)[١٠٣]

واحدة من أزمات الشخصية الملتزمة في الرواية العربية أنها عرضت بوصفها غير مقتنعة تماما بالمبادئ التي آمنت بها، والأسس التي قامت عليها هذه المبادئ مما يعني حتما انهزامها أمام الجدل والمناقشة، وضعفها في المواجهة والأداء أمام المناهضين لما هو إسلامي.

فبالرغم من سطحية وضعف البناء العقائدي الديني في شخصيات محفوظ، ألا أن هناك ثمة شخصية وهي شخصية كمال الذي يعرف عن الدين معلومات لا باس بها بوصفها جزءا من الثقافة الواسعة التي تتمتع بها هذه الشخصية في وسط متخلف من جميع النواحي، ولكن شخصية محفوظ هذه تعاني من أزمة حقيقية تتمثل في أن مبادئها غير راسخة بدرجة كبيرة مما يجعلها لا تدافع عن هذه المبادئ فبدت منهزمة أمام الجدال والحوار، وجاءت ردودها فاترة لا تنم عن تدين عميق يؤهلها للمناقشة والجدل مما يوحي ضمنا عن انهزامها لأمرين: - الأول أنها لا تملك قناعة كاملة بما تؤمن ومن ثم

فهي لا تستطيع أن ترد وتدافع مما يجعل المثل الإسلامية في حالة انهزام وشك على الدوام. والحالة الثانية: - أنها لا تستطيع أن ترد لطبع الرقة والخجل الذي جبلت عليها شخصية كمال، والمجاملة حتى ولو كان على حساب الدين... وهذا قطعا ليس من تمام الإيمان فالمؤمن الحق لا تأخذوه في الله لومة لائم. وضعف الشخصية في الحالتين يجعلان شخصية محفوظ المسلمة تعيش أزمة حقيقية، ويتضح ذلك في مجلس الأكل والشراب الذي ضم كمال مع حسين وعايدة، والذي قدم فيه الخمر واللحم الخنزير - وكلاهما محرم قطعا في الإسلام - وليشكلان نقطة الصراع في المعركة بين طرفين هما حسين وعايدة من جهة وكمال من جهة أخرى، بدا فيها الأخير ضعيفا خجلا في ردوده وأقواله وأفعاله مما يوحي بل ويصرح بانتصار الأفكار المناهضة للإسلام لعدم امتلاك كمال الحجة الدامغة في الرد. فلنلقي نظرة في هذا المشهد الطويل من رواية قصر الشوق والذي برز على شكل حوار سأل حسين كمالا عندما قدم له لحم الخنزير والخمر

- ألم تذق شيئاً من هذا من قبل؟

- كمال سؤال في غير حاجة إلى جواب

- إذاً ستذوقه لأول مره والفضل لنا

- هذا محال

- لما سؤال في غير حاجة إلى جواب أيضا

- كمال الدين هه؟ كوب البيرة لا يسكر ولحم الخنزير كله لذة وفوائد لست ادري ما حكمة الدين في شؤون الطعام[١٠٤]!

فكل الذي فعله كمال بعد هذا الكفر البواح (تقلص قلب كمال لوقع هذا الكلام بيد انه لم يخرجه عن رقته وهو يقول معاتبا حسين لا تجدف. ولأول مره منذ افتتحت المأدبة تكلمت عايدة وقالت:

- لا تسئ بنا الظن نحن نشرب البيرة لفتح النفس ليس إلا. أما لحم الخنزير فلذيذ جدا جربه ولا تكن حنبليا وكأن الخمر ولحم الخنزير محرمان في المذهب الحنبلي فقط ولكأنهما اجتهاد فقهي ولم ينزل فيهما قرآن يتلى إلى يوم القيامة يقطع بتحريمهما ومع هذا كله فقد اكتفت شخصية محفوظ الملتزمة والمنهزمة معا بقولها :

- دعوني آكل الطعام الذي ألفه وأكرموني بالمشاركة[١٠٥].

فشخصية كمال تأكل ما يؤلف ولا تأكل ما هو حلال!! فهي قد امتنعت عن لحم الخنزير وشرب الخمر لأنها لم تألفهما ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما البناء العقائدي الديني في رواية قصر الشوق فبدا ضعيفا عند شخصياته الرئيسية الأخرى فهذا السيد احمد عبد الجواد لا يعرف من دينه الأحجبة والأدعية والتعاويذ التي تعلمها من الشيخ متولي.. الذي يظهر باستحياء على مستوى القص وكل همه بوصفه شخصية دينيه كتابة الأدعية والتعاويذ.

وهذه آمنه هي الأخرى تخشى من ذكر الجن أمامها مما يشير قطعا إلى سطحية البناء العقائدي في رواية قصر الشوق وقد اتضح التدين في أحسن حالاته عند شخصية كمال التي بدت منهزمة وغير مقتنعة بالمبادئ التي آمنت بها كما بينا سابقاً.

أما رواية الظامئون فتصور حياة قرية قد أجدبت وجف ماؤها،

وانقطع رجاؤها وساء حالها فأهلكت أو أوشكت على ذلك، رواية يشير مضمونها إلى افتقار البشرية إلى قوة كامنة قوة من بيده إنزال القطر والماء إلى الله تعالى وحده. والرواية بطبيعة الحال تصف واقع مجتمع مسلم وتعالج قضايا من جنس تقدير الأقدار بوصف ان الرزق ومنه الغيث هو من عند الله تعالى. بيد أن الأزمة الحقيقية التي تعانيها شخصيات عبد الرزاق المطلبي هي ضعف إيمانها وسوء ظنها بربها، وعدم صبرها مع سرعة جزعها ويأسها، فاتخذ أهل القرية من هاشم بطل الرواية مثالا للهزأ والسخرية ؛لأنه اخذ بالأسباب وفكر بحفر بئر لإنقاذ نفسه وأهله من هلكة القحط. ومن المفيد للذكر أن الأخذ بالأسباب هو جزء من الإيمان بالقضاء والقدر وتركها هو رد للقضاء والقدر. هذا مقطع من الرواية يصور حالة الاستكانة واليأس التي تعتري أهل القرية:

- أ هكذا يا رب تمر الغيمة وتبصق على وجوهنا بدلا من أن تغسل أرضنا وقلوبنا تمر ولا غير البصاق

- وقهقه هامل وهو يتلفت إلى من معه

- ما كان علينا أن نمسك مساحينا ورد آخر بكلمات بطيئة تكمن السخرية في ثناياها

- نعم.. فقد جفلت الغيمة منها وابتعدت خائفة.. وضحك.. ها.. ها.. ها

وأحس زاير راضي بالغضب يتحرك في صدره (يحملونني سبب ابتعاد الغيمة..!! لكنه أطبق شفتيه على مضض وسار إلى بيته.. وفيما كان في الطريق سمعهم يقولون بسخرية:

- أطار هذا الزاير رزقنا بمسحاته وبثره...

فعض على نواجذه غيظا، وود لو يرجع لهم.. قائلا في نفسه.. بل انتم الذي أطرتم رزقنا .. ولكن الله حكيم.. هؤلاء الناس يغضبون مع إن الأمر بيد الله.. يا لهم!!حسين هذا.. الآن عرف كيف يتكلم!!واقبل على البيت وكان ابنه قد سبقه إليه فولجه دونما كلمة وجلس على حافة السجادة تاركا أنظاره تمتد إلى الخارج والهموم تتجمع وتتكاثف على صدره حتى كادت تخنقه وتكتم أنفاسه[١٠٦].

أما شخصية العطار في الرواية نفسها الشخصية الأكثر التزاما بالدين نجدها سريعة الجزع يائسة معترضة على قضاء الله وقدره، ومن ثم ان سمة التدين التي أظهرها المؤلف روائيا على شخصيته تكرست في كونها كانت تستفتح في القرآن بمعنى أنها كانت تؤمن بالبخت والطالع والكهانة وهي بذلك تلتقي في الأزمة ذاتها التي تعانيها معظم شخصيات الروايات العربية، ولا سيما الإسلامية منها كما يتبين من خلال هذا المقطع من رواية (الظامئون) لعبد الرزاق المطلبي:

أطل عطار القرية برأسه من خلال الباب الواطئة القائمة بجانب الباب الطويل وأحس بمشاعره تتجمد في أعماقه وهو يرى الأراضي من حوله قد كستها خيوط الثلج مما تجمد من ندى ملونة العشب اليابس القليل والحجارة الكالحة تدس الخوف إلى قلبه من حدقتي عينيه فتأفف حتى اكتسح ضباب سفرته كل الهواء أمامه وكان منخراه ينفثان ضباباً وعيناه تتغلقان على مضض.

فجاء أهل القرية اقتربوا منه والقوا التحية عليه فرد عليهم مرحبا ثم دعاهم للجلوس فقال زاير:

- أبو حميد هات المصحف واكشف لنا نريد ان نرى طالعنا

- اسمع زاير أنا رايح افتح القرآن وضع إصبعك أنت على السطر الذي تختاره

- لا .. لا دعني انا افتح الصفحة واختار منها سطرا

- حسنا !!

- وتقدم زاير فامسك القرآن بيديه الاثنين ثم قبله ووضعه على رأسه. فتحه ببطء وأشار إلى سطر في وسط الصفحة.. وقرأ العطار (بسم الله الرحمن الرحيم.. الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.. (انه سيبسط الرزق لنا ..) فافترت شفاههم عن ابتسامات رجاء فرحة[١٠٧].

هذا عرض موجز لعنصر الشخصية المؤمنة في الرواية العربية حاولنا فيه الوقوف عند الخصائص البنائية للشخصية، بغية الوصول إلى الخطوط العريضة التي تعانيها الشخصية والتي وسمناها بالأزمة، مع التأكيد بأننا لسنا بصدد المقارنة بين الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية والرواية فلا مجال للمقارنة.

# الهوامش

❖ القرآن الكريم

١ – الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دراسة في البنية السردية : د. حسن سالم هندي، ص٣٢.

٢ – الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، نصر محمد إبراهيم عباس، مكتبة، النهضة، المصرية، القاهرة، ط٣، ١١٢.

٣ – النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الكتب المصرية، القاهرة ط٢، ص٤٤.

٤ – الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، دار المعارف، القاهرة ط١، ص ١٢٢.

٥ – القرآن والقصة الحديثة، محمد كامل حسن، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط١، ص ٧٦.

٦ – الفن القصصي في القرآن، ٣٠٥، مصدر سابق.

٧ – التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري الشيخ أمين، بيروت، ط٣، ص ٢١٩.

٨ – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ١٩٦٧، ص ١١٦.

٩ - القصص / ٢٦ .

١٠ - النمل / ٣٤.

١١ - النمل / ٣٢.

١٢ - القلم / ٢٨ .

١٣ - القلم / ٢٩ .

١٤ - القلم / ٣٠ - ٣١.

١٥ - القلم / ٣٢.

١٦ - في ظلال القرآن، سيد قطب، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٣٣٥.

١٧ - النمل / ٢٠ .

١٨ - النمل / ٢١ .

١٩ - النمل / ٢١ .

٢٠ - تفسير القران العظيم، أبن كثير، دار علوم الحديث، ص٢٠٣ .

٢١ - سايكولوجية القصة في القرآن - د: التهامي نقرة - الشركة التونسية للتوزيع - ط٢ - ص٣٦٠.

٢٢ - . يوسف٢٣ — ٢٩ .

٢٣ - يوسف٢٣.

٢٤ - يوسف ٣١ — ٣٣ .

٢٥ - رسم الشخصية في روايات حنا مينا فريال كامل سماحه. عمان الأردن ٢٠٠٢ط١ ص٥٨ .

٢٦ - يس/ ١٣ - ١٥ .

٢٧ - يس / ١٦ - ١٧ .

٢٨ - يس / ١٩ .

٢٩ - يس / ٢٠ .

٣٠ - يس / ٢٠ . - ٢٣
٣١ - في ظلال القران، الجزء الخامس / ٢٩٦٤ .
٣٢ - يس / ٢٦ - ٢٧ .
٣٣ - الصافات / ١٠٠ .
٣٤ - الصافات / ١٠١ .
٣٥ - الصافات / ١٠٢ .
٣٦ - الصافات / ١٠٢ .
٣٧ - الصافات / ١٠٢ .
٣٨ - الكهف / ٣٢ - ٣٦.
٣٩ - الكهف / ٣٧ - ٤١ .
٤٠ - الكهف/٧١ - ٧٧.
٤١ - الكهف/٧٩ - ٨٢.
٤٢ - البلاغة والأسلوبية - د. محمد عبد المطلب - مطابع الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٤ - ص٦٧.
٤٣ - ص / ٤١ .
٤٤ - ص / ٤٤ .
٤٥ - الأنبياء / ٨٣.
٤٦ - تفسير القران الكريم لابن كثير ج ١ ص٢٢٢ القاهرة - دار الصابوني.
٤٧ - الشعراء / ٧٨ - ٧٩.
٤٨ - بدائع الفوائد لابن القيم - تحقيق سيد عمران وعامر صلاح ص٢٢٠ج٢ دار الحديث القاهرة.
٤٩ - الجن/١٠ .
٥٠ - المائدة/١١٦ .

٥١ - المائدة /١١٦.

٥٢ - المائدة /١١٧.

٥٣ - المائدة /١٢٠.

٥٤ - لقمان /١٧.

٥٥ - لقمان /٢٣.

٥٦ - لقمان/١٧ - ١٨.

٥٧ - هود /٧٨.

٥٨ - بدائع الفوائد ج - ١ ٧١٧.

٥٩ - الأعراف / ٥٩ - ٦٣.

٦٠ - الأعراف / ٦٩.

٦١ - الأعراف / ٦٧ - ٦٩.

٦٢ - ينظر: سورة الأعراف الآيات ٧٣ - ٨٨.

٦٣ - البقرة / ١٢٧.

٦٤ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ج١ ص٣٣٢.

٦٥ - البقرة / ١ - ٥.

٦٦ - مريم / ٨٨ - ٨٩.

٦٧ - الإسراء /١.

٦٨ - فصلت /١١ - ١٢.

٦٩ - الظاهرة الجمالية في القران الكريم - نذير حمدان - دار المنارة الطبعة الأولى ١٩٩١ص٣١.

٧٠ - طه/ ١٢ - ١٦.

٧١ - يوسف / ٣٠.

٧٢ - الأنبياء / ٦٩.

٧٣ - الفلق/١ - ٥.

٧٤ - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبد الكريم الخطيب ١٦٣ .

٧٥ - طه / ٦٥ .

٧٦ - الأعراف /٤١ .

٧٧ - الأعراف / ١٢٦ .

٧٨ - أرواح الشهداء، د . عبد الحميد بن عبد الرحمن، ص٤٣ ، الخنساء للطباعة.

٧٩. - تيسير الرحمن في تفسير كلام المنال، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص١٦٧ ، دار ابن حزم.

٨٠ - الوجيز في دراسة القصص - الين اولتبنيرندوليزي لويس - ت - عبد الجبار المطلبي - دار الحرية للطباعة - ص١٢٨ .

٨١ - فنون النثر العربي الحديث - شكري الماضيرة - دار العودة - القاهرة — ٣٠.

٨٢ - نظرية الأدب - عدد من الباحثين ت - جميل نصيف التكريتي - ص١٠٤ .

٨٣ - الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة - سعد عبد العزيز - المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - ص٢ .

٨٤ - الشخصية في صناعة الرواية - ت - عبد الواحد لؤلؤة - مجلة الآداب - شباط - ص٣٣ .

٨٥ - الرواية الفرنسية الجديدة - نهاد التكرلي - دار الحرية للطباعة - سلسلة الموسوعة الصغيرة - بغداد - ج٢ - ص٦٩ .

٨٦ - تيار الوعي في الرواية الحديثة - روبرت همفري - ت - محمود الربيعي - دار المعارف - مصر ص٥٥ .

٨٧ - نحـو روايـة جديـدة - الان روب جرييـه - ت - مـصطفى إبراهيم مصطفى - دار المعارف بمصر - ص٧٣.

٨٨ - قضايا الرواية الحديثة - جان ريكاردو - ت: صباح جهيم - ص٩٥.

٨٩ - بنيـة النص السردي - حميد الحمداني - المركز الثقافي - المغرب - الدار البيضاء - ط١ - ص٥١.

٩٠ - نظرية الرواية في الأدب الإنكليزي - جيمس جويس - ت - إنجيل بطرس سمعان - الهيئة المصرية العامة - ص٢٣.

٩١ - الـوهم في وجهـة النظـر في النقـد الروائـي الحـديث - ريتشاردهارتز فوكل - ت: عبد الستار عبد اللطيف مال - مجلة الثقافة الأجنبية - العدد١ - ١٩٩٠ - ص٨٧.

٩٢ - تـاريخ الروايـة الحديثـة - الـبيريس - ت: جـورج سـالم - منشورات عويدات - بيروت - ص١٠٣.

٩٣ - بحوث في الرواية الجديدة - ص٩٢.

٩٤ - الشخصية في عالم فرمان الروائي - ص٤.

٩٥ - نظريـة الروايـة في الأدب الانكليـزي - جـيمس جـويس - ترجمة انجيل بطرس سمعان الهيئة المصرية للكتاب ص ١١١.

٩٦ - رواية القمر والأسوار - عبد الرحمن مجيد الربيعي - دار الشؤون الثقافية ١٩٨٣ طبعة الأولى ص٨٣.

٩٧ - القمر والأسوار ص١٠٦.

٩٨ - روايـة الحـرافيش - نجيـب محفـوظ القـاهرة ١٩٨٥ الطبعـة الثانية ١١٤.

٩٩ - الحرافيش ص٩٨.

١٠٠ - رواية قبل أن يحلق الباشق - عبد الخالق الركابي دار العودة بيروت ص٧٧.

١٠١ - قبل أن يحلق الباشق ص٧٠.

١٠٢ - منزل السرور - ناطق خلوصي مطبعة الإيمان بغداد ١٩٨٧ص٦١.

١٠٣ - منزل السرور ص١١٢.

١٠٤ - قصر الشوق - نجيب محفوظ دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ص١٦٧.

١٠٥ - قصر الشوق ص٢٠٧.

١٠٦ - الظامئون - عبد الرزاق المطلبي دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠الطبعة الثانية ص٢٩.

١٠٧ - الظامئون ص١١.

# فهرس

# بنية الشخصية المؤمنة

## في القصة القرآنية والرواية الإنسانية

الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية شخصية فعالة مطلقا، وتتضح فعاليتها عبر الأحداث التي تخوض غمارها ،وعلاقتها بالشخصيات داخل القصة ،أومن خلال المواقف التي تمر بها وطريقة تعبيرها وحواراتها ،وثباتها على المواقف الايجابية وصدق عواطفها الإنسانية،ومراعاتها لعنصري الزمان والمكان ،ومن ثم هي تستمد حيويتها من خلال علاقتها بهذه المكونات جميعا فلا توجد أوصاف مادية أو حسية للشخصية المؤمنة تعمل في استقلال عن هذه المكونات فهي دائما في خدمة البناء العام للقصة ،ولا توجد أوصاف تزيينية أوايهامية كما في القصص الإنساني مثلا.وقد اعتنى القرآن الكريم ببيان هذه الصفات عن طريق عنايته بأسلوب تقديم الشخصية المؤمنة، ورسمها على وفق المستويين الحسي والمعنوي وبأسلوب تعبيري معجز جعل من صفات الشخصية صفات معبرة.






9 789933 456597




للدراسات
والنشر
والتوزيع




نينوى